# الفصل الثالث

## الدراسة التطبيقية على
## الصور البيانية في الأحاديث القدسية

- المبحث الأول : صور التشبيه في الأحاديث القدسية
- المبحث الثاني : صور المجاز في الأحاديث القدسية
- المبحث الثالث : صور الاستعارة في الأحاديث القدسية
- المبحث الرابع: صور الكناية في الأحاديث القدسية

**تمهيد :**

قبل الولوج في الدراسة التطبيقية ينبغي التعريفبالمؤلف الذي ألَّف كتاب (الصحيح المسند من الأحاديث القدسية) الذي تم انتقاء الأحاديث القدسية منه كنماذج للدراسة ، والوقوف على ترجمته وطريقة عمله في الكتاب .

**أولاً : نبذة عن مؤلف الكتاب :**

- الشيخ مصطفى بن العدوي من دعاة مصر وعلمائها المعروفين. ولد فى قرية "منية سمنود" التابعة لمحافظة الدقهلية عام 1945م.
- درس كلية الهندسة قسم الميكانيكا فى عام 1977م .
- حفظ كتاب الله عز وجل.
- رحل إلى الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله تعالى في اليمن.
- حضر دروسه من عام 1400هـ إلى عام 1404هـ تقريبا.
- حصل علما كثيرا مع الشيخ مقبل رحمه الله رحمه واسعة .
- رجع إلى مصر، وأنشأ مسجدا صغيرا وبدأ فيه التدريس.
- بدأ دروسه فى البخارى ومسلم وفى التفسير والفقه.
- رحل إليه عدد كبير من الطلبة من داخل مصر وخارجها.
- بدأ فى إنشاء مسجد كبير ومكتبة كبيرة، بعد ازدياد عدد الطلاب.
- له عدد من الدروس الأسبوعية في مختلف محافظات مصر.
- كتب فى عدة اتجاهات منها (فقه-حديث- مصطلح حديث-التفسير).
- له مشروع كبير في التفسير على صورة سؤال وجواب واسم هذا المشروع: (التسهيل لتأويل التنزيل) وقد صدر منه: تفسير عدد من سور القرآن منها (البقرة - وآل عمران – والنساء – والنور – والحجرات – والقصص – ويوسف - وجزء عم – وجزء تبارك) .
- ولهذا العمل مختصر فى ثلاث مجلدات صدر منه جزء يحتوى تفسير جزء عم واسمه (تفسير الربانيين لعموم المؤمنيين) .
-ثم لهذا التفسير المختصر اختصاراً آخر اسمه(تسهيل التسهيل) وهو تفسير للقرآن فى جزء واحد.
- ثم مشروع آخر رابع يحتوى معانى المفردات مع الثوابت من تفسيرات الرسول صلى الله عليه وسلم لبعض الآيات مع أسباب النزول).
* أما بالنسبة للفقه فله كتاب "الجامع لأحكام النساء" فى خمس مجلدات.
* وله كتاب آخر فى الفقه بصفة عامة وهو كتاب (الجامع العام فى الفقه والأحكام) .
- وهناك العديد من المؤلفات الأخرى منها:
- كتاب الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة .

- وكتاب الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة .
- والصحيح المسند من فضائل الصحابة .
- والصحيح المسند من الأحاديث القدسية .
- فقه التعامل مع الوالدين .
- فقه التعامل بين الزوجين .
- هو فقه تربية الأبناء .
- "فقه الأخلاق والمعاملات مع المؤمنين " .
- "أسئلة وأجوبة فى علم مصطلح الحديث مع شرح علل الحديث" .
- "مفاتيح الفقه فى الدين ".
- شفاء القلوب.
- فقه الدعاء .
- وهناك مختصرات صغيرة كثيرة للغاية مثل:
- القبس المختار من صحيح الأذكار
- وروضة المحبين من فضائل صحابة النبى الأمين
- فضائل القرآن وآداب حملته
- معجزات النبى.
- ولاتقربوا الزنى
- ذم البخل
- وله عدد من التحقيقات منها :
- المنتخب لعبد ابن حميد .
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .
- الوابل الصيب من الكلم الطيب .
- تحقيق شرح الطحاوية .

-ولا زال الشيخ مشمراً في الدعوة إلى الله ونشر العلم والتأليف، نسأل الله عز وجل أن يبارك في علمه وعمله[1].

كتاب الجامع الصحيح في الأحاديث القدسية ومميزاته:

---

* إصدار أعضاء ملتقى أهل الحديث، المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين (342/1) ، أعده للموسوعة: خالد الكحل . الإصدار الأول، تاريخ الاضافة: 14نوفمبر 2010م . الكتاب عبارة عن كتاب إلكتروني تم إدخاله إلى الموسوعة الشاملة ولا يوجد مطبوع ، وقد وصلت التراجم فيه إلى زهاء 201 .الموقع الالكتروني: http://shamela.ws/index.php/book/2080

هناك كتب كثيرة مصنفة في الأحاديث القدسية تتفاوت مناهجها من جهة الجمع والترتيب والانتقاء والشرح والتخريج ونحو ذلك، إلا أن هذا الكتاب يجمع الصحيح والمقبول فقط من الأحاديث القدسية ، من غير تطويل في التخريج ، ولا سرد للضعيف والموضوع ، فهو كتاب متوسط ، يقع في نحو ثلاثمائة صفحة ، أحاديثه بلغت (185) حديثاً صحيحاً ، وفيه فوائد أخرى يشرحها المؤلف بنفسه في مقدمة كتابه فيقول :"أما بالنسبة لخطتنا في العمل في هذا الكتاب، وما يمتاز به فتتلخص في الآتي :

1. صحة الأحاديث الواردة في هذا الكتاب ، والاقتصار عليها .
2. ذكر هذه الأحاديث بأسانيدها مع بيان درجة كل حديث تحته .
3. صراحة كون الحيث قدسياً ، فكثيراً ما يذكر مصنفو الكتب في الأحاديث القدسية أحاديث ليست صريحة في كونها منسوبة إلى الرب عز وجل، كقول النبي صلى الله عليه وسلم : ( يقال يوم القيامة كذا ...أو ينادى يوم القيامة ).
4. تخريج الحديث ، على الأقل من الكتب الستة إن كان موجوداً بها .
5. شرح الغريب من الألفاظ .
6. شرح ما يتعلق بجزء الحديث المنسوب إلى الرب جل وعلا في أغلب الأحيان .
7. كتابة بعض الفوائد الفقهية الموجودة في ثنايا هذا الكتاب .
8. ذكر بعض أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة في التعليق على بعض الأحاديث.
9. تعزيز كثير من الأبواب التي بوبنا لها بجملة أدلة من الكتاب والسنة حتى يخرج منها بموضوع متماسك إلى حد كبير ".

احتوت الأحاديث القدسية على صور بيانية رائعة، صاغها النبي صلى الله عليه وسلم بأسلوبه المتميز وبيانه الساحر ، فحوت دراً نفيسة ، وحِكماً بالغةً ، وصوراً زاهيةً ، كشفت عن قيمة فنية بلاغية رائعة ، يعجز عنها فرسان الفصاحة والبلاغة ، فأضحت أنموذجاً متفرداً في ميادينها.

الطريقة المتبعة في إجراء الدراسة التطبيقية :

أولاً : بما أن الدراسة ليست إحصائية ، فالدراسة أغفلت بعض الصور البيانية ، كالتي اشتملت على صفات إلهية ، جُعِلت من باب المجاز، لاختلاف رأي العلماء فيها بين مؤيد ومُذكر ، أو التي تكرر المثال فيها كثيراً ، مثل الآيات التي تعبّر عن المقاييس والأحجام والمسافات، من نحو: (مثقال ذرة من خردل) ، (مد البصر) ، (طرفة عين).. وغيرها ، وقد يكون هناك صوراً لم تلحظها الدارسةفسقطت سهواً .

ثانياً : يتم شرح الحديث المشتمل على الصورة البيانية من كتب شرح الحديث المشهورة ما أمكن ذلك؛ حتى لا يخرج البحث عن إطار المعنى المحدد للحديث. ثم بعد ذلك تُستخرج الصورة البيانية منه، ويُجرى عليها التطبيق .

ثالثاً : هناك أحاديث كثيرة تعددت الروايات فيها واختلفت ، اكتفت الباحثة فيها برواية واحدة ، وهذا كثير في الأحاديث التي تحدثت عن بعض الأمور الغيبية كيوم القيامة والحساب والشفاعة وغيرها ...، إلا إذا كانت إحدى الرويات تشتمل على صورة بيانية جديدة لم تكن في الرواية المختارة فحينئذٍ تكتب الصورة البيانية الأخرى ويتم التطبيق عليها .

## المبحث الأول

## صور التشبيه في الأحاديث القدسية

أولاً : نماذج التشبيه المفرد في الأحاديث القدسية:

1) اشتمل الحديث التالي على صورة من صور التشبيه الجميلة ، وردت في قصة رجل من أهل الجنة طغت عليه طبيعته البشرية وحَنَّ لعمله الذي كان يمارسه في الدنيا من فلاحة الأرض وزراعتها، فاستأذن ربه في الزرع :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كان يوماً يُحَدِّثُ ، وعِندَه رجلٌ من أهل البادية: (أن رجلاً من أهلِ الجنَّةِ استأْذَنَ ربَّهُ في الزَّرعِ فقالَ لَه: ألستَ فيما شِئتَ ؟ قال: بلى، ولكني أُحِبُّ أنْ أزرَعَ ، قال : فبَذَرَ ، فبادَرَ الطَّرْفَ نباتُهُ واستِواؤُهُ واستِحصادُهُ ، فكانَ أمثالَ الجِبالِ ، فيقول الله : دونَكَ يا ابنَ آدمَ ، فإنه لا يُشْبِعُكَ شيءٌ ) . فقال الأعرابيُّ : والله لا تجِدُهُ إلا قرشيًا أو أنصاريًا، فإنهم أصحابُ زرعٍ ، وأما نحنُ فلسنا بأصحابِ زرعٍ ، فضحِكَ النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)[2].

جاء التشبيه هنا بطرفين حسيين في قوله: (أمثالَ الجِبالِ ) حيث شبَّه شكل النبات بعد حصاده ووضعه في أكوام قريبة من بعضها البعض بالجبال، ووجه الشبه بين الطرفين هو (الضخامة والعلو) وهو مفرد حسي . وربط بين التشبيهين بأداة من أدوات التشبيه هي (أمثال) ، لذلك فالتشبيه مرسل. وكذلك مُجمل لأن وجه الشبه فيه محذوف . والغرض من التشبيه هنا بيان مقدار المشبه.

عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ (هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَشْطَارٍ كُلُّهُمْ مِنْ نَارٍ إِلَّا فِرْقَةً وَاحِدَةً ، وَهُمْ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، وَهُمْ الَّذِينَ يَحْسُدُونَ الْخَلِيفَةَ وَأَصْحَابَهُ وَالَّذِينَ يَأْتُونَ الْبَابَ فَيَطْرُقُونَ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى ، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الْغَوْغَاءِ ، فَيَسْأَلُ اللَّهَ عَنْهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ فَيَقُولُ : مَا بَالُ عِبَادِكَ ؟ فَيَقُولُ : حَطُّوهَا عَنْهُمْ ، وَاجْعَلُوهَا عَلَى صُدُورِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، ثُمَّ يَدْخُلُونَ بِرَحْمَتِي الْجَنَّةَ )[3].

الحديث هنا عن مكانة الموحدين الناطقين بالتوحيد والعاملين به ، فهم وإن كانوا مذنبين فإن الله تعالى يتجاوز عنهم ، وذلك لثقل التوحيد ، وشرف الانتساب إلى الله تبارك وتعالى.

التشبيه في قوله: ( وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الْغَوْغَاءِ ) فشبه "الذنوب" التي يجيئ عليها هذا الصنفُ من الناس يوم القيامة في كثرتها وتراكمها ، "بالجبال"

---

2 رواه البخاري ، مرجع سابق، كتاب المزراعة ،حديث رقم 2348، ص441. (حديث صحيح).

3 رواه الحاكم في المستدرك، مرجع سابق، كتاب الإيمان ،حديث رقم 193، ج1، ص126. قال صاحب المستدرك:(هذا حديث صحيح من حديث حرمي بن عمارة على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، فأما حجاج بن نصر فإني قرنته إلى حرمي لأني علوت فيه).

الراسيات العظيمات ، وهنا المشبه مفرد عقلي ، والمشبه به مفرد حسي، ووجه الشبه بين طرفي التشبيه هو (الثقل والضخامة) ، وهو مفرد حسي ، لكن هذا الوجه موجود في المشبه "الذنوب" على طريق التخييل والتأويل ، لأنها شيء عقلي . والتشبيه مرسل لذكر أداة التشبيه (أمثال) ، ومجمل لحذف وجه الشبه.

وفي الحديث تجسيم للذنوب. ومع أن الذنوب من المعاني الذهنية إلا أنه جيئ بها في صورة محسوسة، كأنها لها وزن وثِقل شأنها في ذلك شأن الأشياء المادية المحسوسة . وقد ساعدت جودة التشبيه ودقته على رسم هذه الصورة الخيالية المتقنة. والغرض من التشبيه بيان مقدار الذنوب.

3) في حديث طويل عن المعراج وفرض الصلوات الخمس ، حكى النبي صلى الله عليه وسلم بأسلوب أدبي شيق ما مر به من أحداث ومشاهد شاهدها أثناء تنقله بين السموات مع سيدنا جبريل عليه السلام، فلما عرج به صلى الله عليه وسلم إلى السماء السابعة وجد هناك نبي الله إبراهيم عليه السلام. ثم ذهب به إلى سدرة المنتهى التي جاء وصفها في الحديث على النحو التالي :

(...ثم عرج إلى السماء السابعة . فاستفتح جبريل . فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل: ومن معك ؟ قال : محمد . قيل . وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا . فإذا أنا بإبراهيم صلى الله عليه وسلم ، مسنداً ظهره إلى البيت المعمور . وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه . ثم ذهب بي إلى السدرة المنتهى. وإن ورقها كآذان الفيلة . وإذا ثمرها كالقلال. قال، فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت. فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها...)[4].

المعنى : قوله صلى الله عليه وسلم: ( ثم ذهب بي إلى السدرة المنتهى ) هكذا وقع في الأصول ( السدرة ) بالألف واللام ، وفي [بعض الروايات "سدرة المنتهى" ] . قال المفسرون : سميت (سدرة المنتهى) لأن علم الملائكة ينتهي إليها ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وحكي أنها سميت بذلك لكونها ينتهي إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله تعالى. وقوله عليه الصلاة والسلام:(وإذا ثمرها كالقلال)هو بكسر القاف جمع قلة والقلة جرة عظيمة تسع قربتين أو أكثر[5].

احتوى الحديث على تشبيهين مفردين حسيين :

الأول : شبَّه ورق شجرة سدرة المنتهى بآذان الفيلة ، في الشكل وكبر الحجم .

الثاني : شبَّه نبق شجرة سدرة المنتهى بالقلال، في الشكل المستدير، وربما في اللون أيضاً .

---

[4].رواه مسلم ، مرجع سابق ،كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات وفرض الصلوات، حديث رقم 162، مج1، ص86، (حديث صحيح) . والحديث لأنس بن مالك رضي الله عنه .

[5] النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف الحزامي ، صحيح مسلم بشرح النووي ، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع ،ط2 ،1414هـ-1994م .كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السموات وفرض الصلوات، حديث رقم 162، ج2، ص279

ويُلاحظ أن هناك تباين واختلاف كبير ما بين شكل سدرة المنتهى في الحديث الغيبي، والسدر الموجود في الدنيا ، فليس ورق سدرة المنتهى رقيقاً كورقه، ولكنه كآذان الفيلة، وليس نبقها صغيراً كنبقه، ولكنه كالقلال ، وهي مع ذلك حين غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت ، واكتست ألواناً وأنواراً [كما في روايات أخرى]، وأصبحت آية من الجمال، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها. وفي سياق التشبيه وما جاء فيه من ذكر لفظ "السدرة" إشارة خفية للذهن بعقد موازنة أو مقارنة بين السدرتين الدنيوية والغيبية ومن ثم يتبين حقيقة الاختلاف بينهما بعد تفصيل الأخرى وذكر أوصافها، وهنا مساحة واسعة لتداعي الصور الخيالية التي ترسم شكل سدرة المنتهى . وهذه بلاغة عجيبة يعجز اللسان عن وصفها .

يقول الدكتور الصباغ في شرح الصورة الفنية لهذا الحديث: " وفيه تصوير لأمور ثلاثة وهي: ورقها وثمرها وحسنها . أما الورق فقد شبَّهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بآذان الفيلة ، وهو تشبيه روعيت فيه الغرابة ، فسدرة المنتهى شيء غريب ولذلك اختيرت لها أداة غريبة لتصوير أوراقها، فالفيلة ليست بالحيوان الشائع في الجزيرة ، وأما الثمر فقد شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقلال ، وأما الحسن فقد ذكر جملة عامَّة ليذهب الخيال في تقدير ذلك الحسن مذاهب واسعة ، قرَّر صلى الله عليه وسلم أنَّ أحداً من خلق الله لا يستطيع أن يصفها من حسنها"[6].

والتشبيه في المثالين ، مرسل لذكر أداة التشبيه (الكاف) ، ومجمل لعدم ذكر وجه الشبه. وقد جمع بين طرفين مفردين حسيين، ولكنه في المشبه تخييلي ، لأن سدرة المنتهى أمر غيبي غير موجود الآن . ووجه الشبه مفرد حسي أيضاً . والغرض من التشبيه هو توضيح وتقريب الصورة الغيبية لسدرة المنتهى .

4)عن أبي أُمامةَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :( إذا كانَ يومُ القيامة قامت ثُلَّة من النَّاس يسدون الأُفق نورهم كالشمس، فيقال: النبيُّ الأمي فيتحسس لها كلُّ نَبيٍّ فيُقَالُ : محمد وأمته، ثم تقوم ثُلَّةٌ أخرى يَسدُّ ما بين الأفق نُورهم كالقمر ليلة البدر، فيقال: النبي الأمي، فيتحسس لها كل شيءٍ ، فيقال: محمدٌ وأمته، ثمتقوم ثُلةٌ أخرى يسد ما بين الأفق نورهم مثل كوكب في السماء، فيقال: النبي الأمي، فيتحسس لها كل شيءٍ ، فيقال: محمدٌ وأمته، ثم يحثي حثيتين فيقول: هذا لك يا محمد وهذا مني لك يا محمد،يوضع الميزانُ ويؤخذ في الحساب)[7].

في الحديث عدة تشبيهات للهيئة التي تأتي عليها أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة:

الأول في قوله : (نورهم كالشمس) . حيث شبه النور المنبعث منهم بنور الشمس. ووجه الشبه هو شدة التوهج والضياء .

---

[6] محمد لطفي الصباغ ، مرجع سابق ،التصوير الفني في الحديث النبوي ، ص147 ،148

[7] الطبراني ،أبو القاسم سليمان بن أحمد المعجم الكبير حققه وخرّج أحاديثه :حمدي عبد المجيد السلفي ، القاهرة ، مكتبة ابن تيمية ، (د.ط)،(د.ت) ، حديث رقم (7780) ،ج8 ، ص222، 223. ( حديث حسن ).

الثاني في قوله : ( نورهم كنور ليلة البدر ) . حيث شبه نورهم المنبعث منهم والذي يسد ما بين الأفق ، بنورالقمر ليلة صيرورته بدراً . وهي من أجمل مراحل تطور القمر .ووجه الشبه هو الضياء والصفاء .

الثالث في قوله :( نورهم مثل كوكب في السماء) . حيث شبه نورهم المنبعث منهم والذي يسد ما بين الأفق ، بنور كوكب في السماء ، ووجه الشبه هو الوضاءة.

وكلها تشبيهات جمعت بين أطراف حسية مفردة ، ووجه الشبه فيها مفرد حسي، وذكرت فيها أداة التشبيه "الكاف"و"مثل"لتدل على التشبيه المرسل،وحذف منها وجه الشبه فهي مجملة. والغرض من هذه التشبيهات هو بيان حسن وجمال الهيئة التي يجيء عليها المؤمنون يوم القيامة.

وهذه الصورة الرائعة التي رسمها التشبيه في هذا الحديث القدسي، بيَّنت الاختلاف والتدرج في مقدار النور والإضاءة بين كل ثُلَّة وأخرى حسب درجاتها الإيمانية ، فالفئة الأولى كان نورها كالشمس، أي أكثر توهجاً من غيرها، لأنها حازت على أعلى درجات الإيمان ، ثم تليها الأخرى التي نور ها مثل نور القمر ليلة البدر ، وهكذا يتدرج النور والضياء إلى أن يصل إلى الفئة الأخيرة التي نورها مثل نور كوكب في السماء . ولكن تظل هذه الفئات مجتمعة تحت راية واحدة ، هي راية الإيمان وإن اختلفت درجاتهم فيه . فهنيئاً لمن حاز مكانتهم ونال قدرهم.

5) .. عن أبي عبد الرحمن المعافري ثم الحبلي قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعةً وتسعين سجلاً ، كلُّ سجلٍّ مثل مدّ البصر يقول : أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ يقول : لا يا ربِّ ... )[8].

في قوله (كل سجل مثل مد البصر) تشبيه ، حيث شبه طول السجل بقدر امتداد البصر، فالطرفان مفردان حسيان، ووجه الشبه بينهما هو (الطول) وهو مفرد حسي أيضاً . والتشبيه هنا مرسل، ومجمل. والغرض من التشبيه بيان مقدار طول السجل .

والصورة في هذا التشبيه تعكس الدقة في إحصاء الحسنات والسيئات، فهي مكتوبة ومدونة في سجلات محفوظة، يتم إخراجها يوم الحساب، وتعكس أيضاً عدل الله سبحانه وتعالى في حسابه للناس ، فهو يحاسبهم بالدليل القاطع ، والشاهد الحاضر. وقال تعالى: (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)[9].

6) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(يقول الله تعالى: يا آدم ، فيقول لبيك وسعديك ، والخير في يديك ، فيقول: ابعث بعث النار ، قال : وما بعث

[8] رواه الترمزي في السنن ، مرجع سابق ،كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ،حديث رقم (2639) ،ص595. (حديث حسن غريب)

[9] سورة الكهف ، الآية (49).

؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، فعنده يشيب الصغير ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد . قالوا: يا رسول الله ، وأينا ذلك الواحد ؟ قال : أبشروا ، فإن منكم رجلا ومن يأجوج ومأجوج ألفا . ثم قال : والذي نفسي بيده، إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة . فكبرنا ، فقال : أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة . فكبرنا ، فقال : أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة . فكبرنا ، فقالوا: أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض ، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود )[10].

قوله: (فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك) في الاقتصار على الخير نوع تعطيف ورعاية للأدب وإلا فالشر أيضا بتقدير الله كالخير. قوله (أخرج بعث النار) والبعث بمعنى المبعوث وأصلها في السرايا التي يبعثها الأمير إلى جهة من الجهات للحرب وغيرها ومعناها هنا ميز أهل النار من غيرهم وإنما خص بذلك آدم لكونه والد الجميع ولكونه كان قد عرف أهل السعادة من أهل الشقاء. قوله (قال وما بعث النار) الواو عاطفة على شيء محذوف تقديره سمعت وأطعت. وما بعث النار ؟ أي وما مقدار مبعوث النار؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين[11].

يظهر من الحديث أن الذين يدخلون النار أكثر عدداً من الناجين منها ، بدلالة الاستثناء، الذي يُستثنى فيه الأقل من الأكثر ، وفي قوله (في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض ، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود ) تشبيه جميل، فالمشبه هنا حال "الأمة الإسلامية بين الأمم يوم القيامة" ، والمشبه به "الشعرة السوداء في جلد ثور أبيض ، أو الشعرة البيضاء في جلد ثور أسود" ، ووجه الشبه بينهما هو "القلة والندرة والتميز"، وهو متعدد مختلف ، كما أن المشبه مركب حسي ، والمشبه به مفرد مقيد حسي. وذكرت أداة التشبيه "الكاف" فالتشبيه مرسل، ومجمل لعدم ذكر وجه الشبه .

وفي الحديث بيان لفضل هذه الأمة ومكانتها بين الأمم، وكيف أن الله أنعم عليها بأن جعلها أكثر أهل الجنة، والتشبيه فيه انبنى على صورة واقعية حسية مألوفة منتزعة من بيئة المخاطبين. إلا أن دقة الوصف وروح الابتكار لا تكاد تفارقه. كما أن أسلوب الحوار الذي اتخذه النبي صلى الله عليه وسلم مع الصحابة بطريقة طرح الأسئلة عليهم خلق مشاعر مختلفة لدى الصحابة بين الخوف والإثارة والتشويق في معرفة نسبة دخولهم الجنة . ويطمئنهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة " فترتاح نفوسهم وتهدأ. وفي قول الصحابة " فكبرنا " دلالة على شدة فرحهم بهذه البشرى العظيمة ، التي أكدها لهم النبي عليه الصلاة والسلام بأسلوب التشبيه المذكور في قوله: (ما أنتم في الناس إلاكالشعرة ..)، والغرض من التشبيه بيان مقدار فضل أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على غيرها من الأمم.

---

[10] رواه البخاري ، مرجع سابق ،كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قصة يأجوج ومأجوج ، حديث رقم 3348، ص640(صحيح)

[11] العسقلاني ، مرجع سابق ، مج15،ص40 . كتاب الرقاق-باب قوله عز وجل (ان زلزلة الساعة شيء عظيم)

(7) وهذا حديث قدسي جميل ، يصوّر مشهداً من مشاهد يوم القيامة ، جاء فيه وصف رهيب لنار جهنَّم، والصراط ، وأحوال المارين عليه ، ووقوع الشفاعة. والحديث رواه عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري ، وذكر أول الحديث إلى قوله :

" ثم قال : ( ينادي مناد: ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم ، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم ، حتى يبقى من كان يعبد الله، من بر أو فاجر ، وغبرات من أهل الكتاب ، ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب....)[12].

ورد في الحديث عدد من التشبيهات ، المشبه فيها أمر غيبي ، ودائماً ما تُشبَّه الأمور الغيبية بأمور حسية حاضرة مشاهدة لتقريب الصورة للأذهان . والتشبيهات كالآتي:

أولاً: التشبيه الذي يصوّر مشهد النار :

(يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب) والسراب : ما يراه الإنسان نصف النهار ، كأنه ماء وليس بماء ، فشبِّهت النار بالسراب ، لأن لها لمعانا من شدة حرارتها أشبه مايكون بشكل السراب في الصحراء ، والتشبيه من النوع المفرد، وطرفا التشبيه مفردان حسيان ، ووجه الشبه هو اللمعان والأخذ بالأبصار ، وهو أيضاً مفرد حسي. وذكرت أداة التشبيه (كأن) فالتشبيه مرسل، ومجمل لعدم ذكر وجه الشبه، والغرض من التشبيه هو التخويف والتهويل.

ثانياً :التشبيه الذي يصور مشهد الجسر :

وهنا مشهد آخر من عرصات هذا اليوم الرهيب ، وهو مشهد الجسر أو ما يسمى (بالصرط) وما به من أهوال تحيط به ، والنار من تحته ، والملائكة ممسكة بالكلاليب المأمورة ، في هذا الموقف العصيب لا يتكلَّم إلا الأنبياء ، يتضرعون لله عز وجل بقولهم : يا رب سلم يا رب سلم ، ويكون النبي صلى الله عليه وسلم وأمته أول المارين عليه .

ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجِسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ "، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ : " مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَأَجَاوِيدِ الرَّكْبِ وَرَكَابِهَا، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ "[13].

قال مقولة "مَزِلَّةٌ " بفتح الميم وكسر الزاي ويجوز فتحها وتشديد اللام ، قال : أي موضع الزلل ويقال بالكسر في المكان وبالفتح في المقال ،..والدحض الزلق ، وفي سورة الكهف(دُحضوا) :ليزلقوا زلقاً لا يثبت فيه قدم، وقوله: "زَلَّةٌ " : مزلقة[14] وقوله: خَطَاطِيفُ

---

[12] أنظر الحديث كاملاً في البخاري ، مرجع سابق ،كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى :(وجوه يومئذ ناضرة .إلى ربها ناظرة)، ، حديث رقم 7439 ، ص1418 ، 1419.

[13] رواه البخاري ، مرجع سابق ،كتاب التوحيد، باب قوله تعالى :(وجوه يومئذ ناضرة .إلى ربها ناظرة)،حديث رقم 7439، ص 1418(حديث صحيح)

[14] العسقلاني ، مرجع سابق ،كتاب التوحيد، مج17،ص437

و َ كَ لاَ لِ يب ُ ": "كلاليب : جمع كَ لُّوب : وهو حديدة معطوفة الرأس ، يعلَّق فيها اللحم ، ويقال لها أيضاً كَ لاَّ ب بفتح الكاف وتشديد اللام[15]. وحَ سَ كَ ة " بفتح الحاء والسين المهملتين . والحسَ ك نبات له ثمر خشن يتعلق بأصواف الغنم وربما اتخذ مثله من حديد وهو من آلات الحرب ، وقوله " مُ فَ لْطَ حَ ةٌ ": فيها اتساع وهي عريضة ، يقال : فلطح القرص بسطه وعرضه ،وقوله "شوكة عقيفة":عظيمة ، ولبعضهم عقيفاء بصيغة التصغير ممدود(السَ عْ دان) بفتح السين وسكون العين بلفظ التثنية ، جمع سعدانة ، نبات ذو شوك ، شوكته من جميع الجوانب ، ونباته يضرب به المثل في طيب مرعاه ، قالو: مرعى ولا كالسعدان. وفَ نَ اجٍ قوله:(سَ لِ مٌ ) أي: فمنهم ناج سالم .( َ اجٍ مَ خ ْ دُ وشٌ ) أي: أصابه خدش وا إصابات ثم بعدوذلك أركَ لُ وخلص.فِ ي نَ ارِ جَ هَ نَّ مَ )[16]: يقال تكدَّست الدواب في سيرها إذا ركب بعضها بعضاً . وفي رواية (مكدوش) وهو أنسب. يقال: كدشه يكدشه إذا ساقه ودفعه دفعاً عنيفاً[17].

المُ ؤ ْالتشبيهُ الفي رالقولِ ه: "وَ كَ الَ طَّرَ ْفِ يحِ ، وو َ كَ أَ جَ اوِ يدِ الخَ يْ لِ و َ الرِّ كَ ابِ " وهذا يعني أنه بحسب الأعمال يكون جواز أو مرور المؤمنين على الصراط ، فسرعة المرور فيه تتناسب تناسباً طردياً بحسب الأعمال الصالحة، وكلما كانت الأعمال الصالحة أكثر كلما كان العبور أسرع، فالناس يتفاوتون في السرعة.

فشبه (مرور المؤمنين على الصراط) بطرف العين ( هذه أسرع مراتب المرور ، وتكون لأول فئة تجتاز الجسر، ويحظى بها صفوة المؤمنين من لهم مكانة عاليه عند الله سبحانه وتعالى، فيمرون دون أن يشعروا أنهم مروا لسرعتهم) ، وتأتي فرقة ثانية أقل درجة فيمرون على الصراط كالبرق ، وأخرى كالريح ، وأخرى كأجاويد الخيل والركاب (الإبل). ثم تقل المراتب والدرجات حسب الأعمال ، فيكون المرور على الصراط مناسباً لأعمالهم ، فمن أبطأ في عبوره يكون هذا نتيجة عمله السيء ، فعمله هو الذي أبطأ به . وتكون أحوال المارين عليه ما بينمَ جْ دُ لَّم وهو الذي ينجى بعمله من الكلاليب والخَ طَ اطِ يفِ ، مَ خ ْ دُ وشٌ ، وهو من له ذنوب فيتأثر بضرب هذه الكلاليب ويتخدش ثم ينجو بعد ذلك، ومَ نْ هُ مْ دالُ وسٌ ، الذي يُ دفَ ع دفعاً إلى نار جهنم لسوء عمله - والعياذ بالله -.

والمشبه هنا مفرد حسي مقيد بحرف الجر (على)،وهو("مرور المؤمنين" على الصراط)، ، والمشبَّه بِ ه ومتعلق حسي(كَ الطَّ رْفِ الخَ يْ لِ و َ كَ أَ جَ اوِ يدِ الخَ يْ لِ و َ الرِّ كَ ابِ )، وبذلك يكون التشبيه هنا تشبيه جَ مْ ع .ووجه الشبه بين المشبه والمشبهات به هو( السرعة)،وهو مفرد حسي.

---

[15] موسى شاهين لاشين ، فتح المنعم شرح صحيح مسلم ، القاهرة ، دار الشروق ، ط1 ، 1423هـ-2002م ،كتاب الإيمان، باب رؤية المؤمنين لربهم في الجنة ،ج1، ص604

[16] العسقلاني، مرجع سابق ،كتاب التوحيد، مج17،ص437 ،438 .

[17] موسى شاهين لاشين ، مرجع سابق،كتاب الإيمان، باب رؤية المؤمنين لربهم في الجنة ،ج1، ص604، 609

والتشبيه كذلك مرسل مجمل؛ لذكر الأداة وحذف وجه الشبه. والغرض من التشبيه بيان أحوال المارين على الصراط ، وترتيب درجاتهم في سرعة المرور عليه.

ثالثاً :التشبيه الذي يصور مشهد الشفاعة :

وفي آخر الحديث تأتي شفاعة الله سبحانه وتعالى بعد شفاعة الملائكةو النبيين والمؤمنين:

(فيقول الجبار : بقيت شفاعتي ، فيقبض قبضة من النار، فيخرج أقواماً قد امتحشوا ، فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له : ماء الحياة ، فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبة في حميل السيل ، قد رأيتموها إلى جانب الصخرة ، إلى جانب الشجرة ، فما كان إلى الشمس منها كان أخضر، وما كان منها إلى الظل كان أبيض ، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ ، فيجعل في رقابهم الخواتيم، فيدخلون الجنة ، فيقول أهل الجنة : هؤلاء عتقاء الرحمن ، أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ، ولا خير قدموه ، فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه)[18].

التشبيه في قوله (فيخرجون كأنهم اللؤلؤ). شبَّه الخارجين من النار بشفاعة رب العالمين باللؤلؤ ، ووجه الشبه هو التلألؤ والصفاء. ذلك لأنه في الأول شبه نباتهم في نهر الحيا بنبات الحبة في جانب السيل أو حميل السيلبجامع السرعة والحسن والطراوة في كل ٍ ، فما نبت منها إلى جانب الشمس كان أخضر ، وما كان منها الى جانب الظل كان أخضر ، كذلك عتقاء الرحمن الذين شفع لهم ، منكان منهم قريباً إلى جهة الجنة كان أبيض ناصعاً كاللؤلؤ ، ومن كان منهم إلى جانب النار يتأخر عنه النصوع . والله أعلم.

وقد جاء التشبيه هنا بطرفين مفردين حسيين ، ووجه شبه مفرد حسي أيضاً ، و التشبيه هنا مرسل مُجْمَل . والغرض من التشبيه تزيين وتجميل المشبه .

وفي قبول الله سبحانه وتعالى الشفاعة في أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فضل كبير وتقدير ورحمة ، فمقدار الإيمان عند المسلم مهما كان حجمه يكون سبباً في حصول الشفاعة له وخروجه من النار. فطوبى لمن رضي الله عنه ورحمه ونال شفاعته وشفاعة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

8) وعن أبي الدرداء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (قَالَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- لآدَمَ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، فَيَقُولُ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ إِلَى النَّارِ، وَوَاحِدٌ إِلَى الْجَنَّةِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ فَقَالَ: أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا، وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّامَةِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ)[19].

قوله: (حين خلقه)...المقصود الإشارة إلى عدم العلم بزمان خلقه . (ذرية بيضاء) أي نورانية (كأنهم الذر) بفتح الذال المعجمة، وهي صغار النمل، والتشبيه في الهيئة ، وقيل: أي

---

[18] أنظر نفس المرجع السابق ، مرجع سابق،كتاب الإيمان، باب رؤية المؤمنين لربهم في الجنة ،ج1، ص610

[19] رواه الهيثمي في مجمع الزوائد، مرجع سابق،كتاب البعث، باب شدة البعث، من اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي عِبَادِهِ ..، حديث رقم (11777)،ج7، ص185، (رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ)

الأبيض بدليل مقابلة الآتي (كأنَّهمُ الحَمُ ) بضم الحاء جمع حممة، وهي الفحم. (فقال للذي في يمينه) أي في جهة يمين آدم من ذرية المؤمنين بعد إخراجهم من كتفه اليمنى، وقال ابن حجر: أي الذي في كتفه اليمنى بدليل "في كتفه اليسرى" الآتي ، فيكون باعتبار ما كان .. والمعنى يعني قال تعالى لآدم لأجل الذي في يمينه وعن قبلهم وفي حقهم. . (إلى الجنة) خبر مبتدأ محذوف أي هؤلاء أصيرهم أو أوصلهم إلى الجنة، (ولا أبالي) حال من الضمير المستكن في الخبر، أي والحال أني لا أبالي بأحد، كيف وأنا الفعال لما يريد، والخلق كلهم لي عبيد، فتصرفت فيهم كيف شئت. (وقال للذي فيكفِّه أو ( كتفه) اليسرى) كذا في أكثر النسخ، وهذا باعتبار ما كان، .. والحديث دليل على سبق القضاء على وفق علمه الأزلي، فإن القضاء نتيجة علمه تعالى[20].

في الحديث تشبيهان :

الأول : شبه ذرية آدم البيضاء الخارجة من كتفه الأيمن بالذر "النمل" ، فالمشبه مفرد مقيد حسي ، والمشبه به مفرد حسي ، ووجه الشبه (إما في الكثرة ، أو الهيئة العامة، أو البياض)- والله أعلم بمراده-فيكون إذن مفرد حسي ، وقد ذكرت فيه أداة التشبيه (كأنَّ ) التي زادت المعنى تأكيداً ، وهو مُجْمل لعدم ذكر وجه الشبه فيه.

الثاني: شبه ذرية آدم السوداء الخارجة من كتفه الأيسر بالحُمَم "الفحم" ، والمشبه مفرد مقيد بالجار والمجرور في قوله (بالإيمن) وحسي ، والمشبه به أيضاً مفرد حسي ، ووجه الشبه بينهما هو سواد اللون، وهو مفرد حسي، وقد ذكرت فيه أداة التشبيه (كأنَّ ) ، فهو مرسل، ومُجْمل لعدم ذكر وجه الشبه فيه. والغرض من التشبيه في التشبيهين المذكورين في الحديث هو بيان مقدار حال المشبه ، " والله أعلم" .

ودائماً ما يوصف أهل الجنة ببياض الوجه ، وأهل النار بسواد الوجه . قال الله سبحانه و تعالى: ( يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ) [21].

وفي الحديث عن عبد السلمي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يأتي الشهُّهد والمتوفَّون بالطَّاعون ، فيقولُ أصحابُ الطَّاعون : نحنُ شُهَداءُ ، فيقالُ : انظُروا، فإن كانت جراحُهُم كجراحِ الشُّهداءِ تَسيلُ دماً ريحَ المسكِ ، فَهُم شُهَداءُ ، فيَجدونَهُم كذلكَ ) [22].

شبَّه جراح المتوفين بالطاعون - إذا كانت تفوح من دمها رائحة المسك - بجراح الشهداء . و المشبه هنا حسي ، وهو مفرد مقيد بالشرط ، والمشبه به مفرد حسي. ووجه الشبه بين الطرفين هو: وجود رائحة المسك في دم كل منهما. وهو مفرد حسي أيضاً. والغرض من التشبيه هو بيان

---

[20] المباركفوري، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام ، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، الهند، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء ،الجامعة السلفية ، ط1404،3هـ ،1984م ،حديث رقم (119)، ج1، ،ص210.

[21] سورة آل عمران ، الآيتان (106 – 107)

[22] أحمد بن حنبل ، مرجع سابق ،مسند الشاميين ،حديث رقم (17801)،ص1277.( إسناده حسن)

إمكان حال المشبه . وجملة الشرط في قوله: (انظروا، فإن كانت جراحُه كجراحِ الشهداءِ ..." ، فهو جوابها. وشهداء ") بيان للكيفية التي تكون فيها المماثلة بين المشبه والمشبه به في نيل هذا المطمح العظيم وهو الشهادة. ويُلمح أن في الحديث صورة نزاع وخلاف بين فئتي الشهداء وأصحاب الطاعون حول الفوز بهذه المكانة الرفيعة ، فهذه الصورة الحية هي التي انبنى عليها التشبيه واستقى منها حسنه وجماله .

كما يوجد تشبيه آخر في الحديث ، جاء بطرفين مفردين في قوله (تسيل دما ريح المسك ) ، حيث شبه رائحة دماء الشهداء برائحة المسك ، ووجه الشبه الذي أومأ إليها التشبيه هو (الرائحة الطيبة) ولم يذكر في التشبيه الأداة ولا وجه الشبه ، لذلك فالتشبيه بليغ. والغرض من التشبيه هو بيان إمكان حال المشبه .

10. عن أبي الأشعث الصنعاني أنَّه راح إلى مسجد دمشق وهجَّر بالرواح فلقي شدَّاد بن أوس والصنابحي معه فقلت أين تريدان؟ فقالا نريدها هنا إلى أخ لنا مريض نعوده فانطلقت معهما حتَّى دخلا على ذلك الرجل فقالا له كيف أصبحت؟ قال أصبحت بنعمة ، فقال لهم شدَّاد : بكفَّارات أبالسرِّ يئات وحطِّ الخطايا فإنِّي سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول إذا ابتليت عبدًا من عبادي مؤمنًا فحمدني على ما ابتليته فإنَّه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمُّه من الخطايا ويقول الربُّ عزَّ وجلَّ قيَّدت عبدي بليَّتي فأجوروا له ما كنتم تجرون له وهو صحيح )[23].

قوله: "مؤمنًا" قيدٌ في ذلك؛ لأن من اتَّصف بالإيمان؛ عمل بأحكامه من صلاةٍ ، وصيامٍ، وحجٍ ، وزكاة ... إلخ، ولا جدال في أن من كان كذلك، وابتُلي بأشياء منعته من أداء نوافله، وأوراده لجدير باستحقاق الثواب حين كان صحيحًا سليمًا[24].

التشبيه في قوله: (إذا ابتليت عبدًا من عبادي مؤمنًا فحمدني على ما ابتليته فإنَّه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمُّه من الخطايا).

المشبه هيئة قيام المريض-المؤمن الصابر على مرضه ومصابه، الحامد الله عليه، الراضي بقضائه -من فراش المرض (أي بعد شفائه)، بهيئته ولدته أمه على الفطرة، طاهرًا نقيًا من الذنوب فالطرفان مركبان حسيّان ، ووجه الشبه بين الحالتين هو: (الخلو والنقاء والبراءة من الذنوب والتهيؤ لبداية جديدة)،وهو متعدد عقلي، والتشبيه مرسل لذكر الأداة (الكاف) ومجمل لحذف وجه الشبه. والغرض من التشبيه هو تعظيم أمر الصبر على المرض والابتلاء.

وعبَّر النبي صلى الله عليه وسلم عن (الشفاء) بقوله (يقوم)؛ لما في (القيام) من دلالة على الصحة والعافية ، فالمريض لا يستطيع النهوض أو يتعذر عليه ذلك ، وهنا تظهر مهارة النبي

---

[23] نفس المرجع السابق، مسند الشاميين ،حديث رقم (17248)،ص1232.( حديث حسن لغيره)

[24] المناوي، الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية ،مرجع سابق ، ص18.

صلى الله عليه وسلم في اختياره للألفاظ ووضعها في قوالب تتناسب مع دلالاتها . وفي الحديث هبة عظيمة من عند الله سبحانه وتعالى وخير ونعمة لعباده المبتلين الصابرين، بأن جعل المرض كفارة للذنوب إذا ما أُلتُزِم فيه الحمد والصبر والتسليم بقضاء الله تعالى ، هذا بالإضافة إلى منحة ربانية أخرى وهي أن جميع أعماله الصالحة التي كان يقوم بها حين عافيته ستكتب له حال مرضه.

ثانياً : نماذج من التشبيه البليغ في الأحاديث القدسية:

1) عن أنس بن مالك قال: ( بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ، ثم رفع رأسه متبسماً ، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله ؟ ! قال : أُنزلت علي آنفاً سورة . فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم . إنا أعطيناك الكوثر. فصل لربك وانحر. إن شانئك هو الأبتر. ثم قال: أتدرون ما الكوثر ؟ قلنا: الله ورسوله أعلم . قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل ، عليه خير كثير ، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة ، آنيته عدد النجوم ، فيختلج العبد منهم ، فأقول : رب إنه من أمتي . فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك)[25].

معنى بين أظهرنا: أي: بيننا. وقوله :(أغفى إغفاءة) أي: نام. وقوله:(آنفاً) أي: قريباً ،(والشانيء) المبغض ، و(الأبتر) هو المنقطع العقب، وقيل : المنقطع عن كل خبر قالوا : أنزلت في العاص بن وائل ، و( الكوثر ) هنا نهر في الجنة كما فسره النبي - صلى الله عليه وسلم- ، وهو في موضع آخر عبارة عن الخير الكثير، وقوله :( يختلج ) أي ينتزع ويقتطع. وفي هذا الحديث فوائد منها أن البسملة في أوائل السور من القرآن ، وفيه إثبات الحوض ، والإيمان به واجب[26].

في قوله (آنيته عدد النجوم) تشبيه بليغ حذف منه وجه الشبه والأداة . شبهت فيه آنية الحوض بعدد النجوم ، فالطرفان مفردان حسيان، ووجه الشبه مفرد حسي وهو (الكثرة) ، وهذا يدل على أن آنية الحوض التي يشرب بها المؤمنون كثيرة تكفي كل الذين يرِدون الحوض ، فالجميع يشرب بطمأنينة تامة ، ليس هناك تزاحم ولا تصادم . والغرض من التشبيه بيان كثرة ووفرة آنية الحوض .

2) عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم(قال: من صلَّى صلاةً لم يقرأ فيها بأمِّ القرآنِ فهي خِدَاجٌ ثلاثًا ، غيرُ تمامٍ ...) [27].

---

[25] رواه مسلم ، مرجع سابق،كتاب الصلاة، باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة ، حديث رقم 400، مج1، ص188، (صحيح)

[26] النووي ، مرجع سابق،كتاب الصلاة، باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة، ج4، ص150.

[27] رواه مسلم ، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة... ، حديث رقم 395، مج1، ص184، (صحيح)

(الخاجُ ) بكسر الخاء المعجمة ، يقال : خَدَجَت الناقةُ ،إذا ألقت ولدها قبل أوان النتاج وإن كان لتمام الخلق ، وأخدجته إذا ولدته ناقصاً وإن كان لتمام الولادة ، ومنه قيل لذي اليدين مُخْدَج اليد أي ناقصها . قالوا فقوله - صلى الله عليه وسلم - :

" خداج " أي ذات خداج من جماعة من أهل اللغة : خدجت أخدجت إذا ولدت لغير تمام .

و"أم القرآن" اسم الفاتحة وسميت أم القرآن لأنها فاتحته[28].

في الحديث تشبيه بليغ حيث شبهت الصلاة التي لا يقرأ فيها سورة الفاتحة (أم القرآن) بالناقة الخداج التي ألقت ولدها ناقص الخلق، أو لغير تمام، ووجه الشبه هنا مفرد حسي (النقصان) في كل . والمشبه في هذا التشبيه مفرد مقيد عقلي ، تخييلي (لأن الخدج ليس من صفات المعاني العقلية) ، والمشبه به مفرد مقيد حسي ، وقد حذف وجه الشبه والأداة. والغرض من التشبيه (بيان حال المشبه). وقد جاءت صورة التشبيه مستوحاة من حياة البادية الرعوية تقريباً للفهم واستشعاراً لمعنى النقص في الصلاة من خلال صورة الناقة الخداج.

3) عن أبي صالح الزيَّات ، أنَّه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: كلُّ عملِ ابنِ آدمَ لهُ إلا الصيامَ ، فإنَّه لي وأنا أُجْزي به والصيامُ جُنَّةٌ ، أحدِكُم فلا يَرْفُثْ ولا يصْخَبْ ، فإنْ سابَّه أحدٌ أو قاتَلَهُ فلْيقلْ : إنِّي امْرُؤٌ صائمٌ ، والذي نفسُ محمدٍ بيدِه لَخلوفُ فمِ الصائمِ أطيبُ عندَ اللهِ من ريحِ المسكِ للصائمِ فرحتانِ يفرحُهما إذا أفطرَ فرِحَ ، وإذا لقي ربَّه فرِحَ بصومِه )[29].

قوله (كل عمل ابنِ آدمَ لهُ إلا الصيامَ ، فإنَّه لي)، اختلف العلماء في معناه مع كون جميع الطاعات لله تعالى ، فقيل : سبب إضافته إلى الله تعالى أنه لم يعبد أحد غير الله تعالى به ، فلم يعظم الكفار في عصر من الأعصار معبوداً لهم بالصيام ، وإن كانوا يعظمونه بصورة الصلاة والسجود والصدقة والذكر وغير ذلك قوله تعالى : (وأنا أُجْزي به ) بيان لعظم فضله ، وكثرة ثوابه ؛ لأن الكريم إذا أخبر بأنه يتولى بنفسه الجزاء اقتضى عظم قدر الجزاء وسعة العطاء. قوله : (الصيام جُنَّةٌ ) : معناه سترة ومانع من الرفث والآثام ومانع أيضاً من النار. قوله: (فلا يرفث ولا يصْخَبْ ) المراد بالرفث هنا : الكلام الفاحش ، وهو يطلق على هذا ، وعلى الجماع ، وعلى مقدماته[30][31].

---

[28] النووي ، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة... ، حديث رقم 395، ج4، ص135

[29] رواه البخاري، مرجع سابق ،كتاب الصوم، هل يقول إني صائمٌ إذا شُتِمَ ، حديث رقم (1904)، ص362، (صحيح)

[30] النووي ، مرجع سابق، كتاب الصيام، باب فضل الصيام ، حديث رقم 163، ج8، ص42- 44

[31] العسقلاني، مرجع سابق، كتاب الصوم ،مج5، ص213

قوله تعالى :(الصيام ُ جُ نَّةٌ) ، تشبيه بليغ ، حيث جعل الصيام كالدرع الذي يقي من سهام العدو ويحفظ من القتل، لأن الشأن في الصيام بحدوده المشروعة يمنع صاحبه من الفحشاء والمنكر، ويغرس فيه القيم الخلقية السامية في الدنيا، ليكون ذلك وقاية له من النار في الآخرة.[32]

فالمشبه إذن هو: (الصيام )، وهو مفرد عقلي ، والمشبه به مفرد حسي ، وهو: الدرع (الستر) الذي يلبسه المحارب ليقيه الطعنات والضربات أثناء المعركة. ووجه الشبه محذوف يُلمح من معنى التشبيه وهو( الوقاية والستر)، مفرد عقلي . فكما يحمي الدرع المتقي به من القتل والهلاك ، كذلك الصيام يمنع ويستر صاحبه من العذاب. والتشبيه بليغ لأنه حذف منه وجه الشبه والأداة .والغرض من التشبيه بيان فضل الصوم والحث عليه. ويكمن جمال التشبيه هنا في تجسيم المشبه العقلي "الصيام" بأن صار جُ نَّةً ودرعاً يُتَّقى به الشهوات والآثام وبالتالي عذاب النار .

ثالثاً : نماذج من التشبيه الضمني في الأحاديث القدسية:

1) وفي الحديث السابق صورة بلاغية أخرى تمثلَّت في التشبيه الضمني في قوله: (والذي نفس ُ محمدٍ بيده لَخَ لوفُ فِم الصَّائمِ[33] أطيب ُ عندَ اللهِ من ريحِ المسكِ ) ، " وهو من أنواع التشبيه البليغ، الذي تزداد فيه المعاني البليغة عن التشبيه الصريح السابق، ومن بينها إقامة الدليل المقنع على هذه المعاني، لأن التشبيه الصريح في ذلك "رائحة الفم كالمسك"، ولكن التشبيه الضمني أكثر بلاغة لما يفيده من معان كثيرة، كما في صيغة "أفعل التفضيل" في أطيب، تدل على أطيب الروائح على الإطلاق، فهي عند الله أعظم مما عند الناس، وأن رائحة المسك جزء يسير من خلوف فم الصائم، لدلالة "من" على البعضية ثم إتيان التشبيه الضمني في أسلوب غير صريح، مما يحتاج إلى تأمل وطول نظر، فإذا ما جاهدت النفس في الوصول إلى المعاني، كانت كالدليل على مفهومها وتأكيد ًا لها، فتستقر في النفس وتكون أشد علوقً ا بها، فلا تذهب عنها إلا بعد أمد بعيد".[34]

والتشبيه هنا أفاد أمراً غريباً ، وهو أن رائحة فم الصائم التي قد تكون عند الكثيرين غير مستحبة ، وقد يخجل البعض منها ، هي عند الله أطيب من رائحة المسك . وهذا في حد ذاته ترغيب عظيم في الحرص على أداء هذه العبادة وتعظيم أمرها.

2) عن أبي هريرة قال : قال النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم (لا يأتي ابنَ آدمَ النَّذرُ شيئًا لم يكن قُدِّرَ له ، ولكن يُلقِيه النذرُ إلى القدرِ قد قُدِّرَ له فيستخرجُ اللهُ به من البخيلِ ، فيُؤتيني عليه ما لم يكن يُؤتيني عليه من قبلُ ) [35].

---

[32] علي علي صبح ،التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف ، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، ط1، 1423هـ - 2002م ،ج1، ص 84(بتصرُّف) .

[33] الخلوف : المراد به تغير رائحة فم الصائم بسبب الصيام.

[34] علي علي صبح ،مرجع سابق، ج1، ص87، 88

[35] رواه البخاري، مرجع سابق ،كتاب الأيمان والنذور ، باب الوفاء بالنَّذْر ،حديث رقم 6694، ص1278. (حديث صحيح).

النذر :عهد يقطعه الإنسان على نفسه ، ويلتزمه ، ولو لم يكن من قبل لازماً ... وقوله:(لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم يكن قدّرته له): تعليل للنهي عن النذر ، وليس المراد بالنهي الزجر عنه والتحذير من فعله ، إذ لو كان كذلك لبطل حكمه ، ولما لزم الوفاء به ؛ لأنه بالنهي يصير معصية فلا يلزم.. ، والمراد من النهي تعظيم أمر النذر وتحذير عن التهاون به بعد إيجابه ، وعدم التفريط في الوفاء به [36].

فيقول: (استخرج به مما لم يكن يؤتيني عليه ما لم يكن يؤتيني عليه من قبل ) أي: يعطيني . قال البيضاوي :عادة الناس تعليق النذر على تحصيل منفعة أو دفع مضرة فنهي عنه لأنه فعل البخلاء ، إذ السخي إذا أراد أن يتقرب بادر إليه، والبخيل لا تطاوعه نفسه بإخراج شيء من يده إلا في مقابلة عوض يستوفيه أولا فيلتزمه في مقابلة ما يحصل له وذلك لا يغني من القدر شيئاً فلا يسوق إليه خيراً لم يقدر له ولا يرد عنه شراً قضي عليه ، لكن النذر قد يوافق القدر فيخرج من البخيل ما لولاه لم يكن ليخرجه. قال ابن العربي: فيه حجة على وجوب الوفاء بما التزمه الناذر لأن الحديث نص على ذلك بقوله " يستخرج به " فإنه لو لم يلزمه إخراجه لما تم المراد من وصفه بالبخل من صدور النذر عنه ، إذ لو كان مخيراً في الوفاء لاستمر لبخله على عدم الإخراج[37].

التشبيه في قوله: (استخرج الله به من البخيل فيؤتيني عليه ما لم يكن يؤتيني عليه من قبل ). وهو تشبيه ضمني، يفهم من معنى الحديث، فالمشبه هو حال صاحب النذر ، والمشبه به حال البخيل الذي يصعب عليه الإنفاق إلا بمقابل ، فصاحب النذر لا يؤدي الصدقة أو العبادة التي نذرها من تلقاء نفسه رغبة في الله ورهبة منه ، بل نظير أمر معين كان يرجو حدوثه من الله سبحانه وتعالى ، فلما حدث كان مجبراً على الوفاء به ، وربما كارها أيضاً . والبخيل لا يخرج من ماله إلا كارهاً ، أو نظير منفعة له. ووجه الشبه بين صاحب النذر والبخيل إذن هو (عمل شيء إلزاماً مقابل الحصول على فائدة). والغرض من التشبيه بيان حال المشبه .

وينبغي على المسلم أن يعلم أن النذر لا يغير شيئاً من الأمور المستقبلية المقدَّرة، وأن عليه بالدعاء ، فالدعاء عبادة مستحبة ، والله سبحانه وتعالى يحب العبد اللحوح في الدعاء ، والمهم في ذلك كله عقد النية السليمة في الله سبحانه وتعالى والتوكل عليه في كل الأمور .

3) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدانها .قال حماد: فذكر من طيب ريحها ،وذكر المسك . قال : ويقول أهل السماء: روح طيبة جاءت من قبل الأرض . صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه . فينطلق به إلى ربه عز وجل . ثم يقول : انطلقوا به إلى آخر الأجل . قال : وإن الكافر إذا خرجت روحه ،قال حماد: وذكر من نتنها ، وذكر لعنا ويقول أهل السماء: روح خبيثة جاءت من قبل الأرض . قال فيقال : انطلقوا به إلى

[36] موسى شاهين لاشين، مرجع سابق ،كتاب النذر ، باب النذر والقدر (مختصراً) ،ج6، ص442، 443

[37] العسقلاني، مرجع سابق، كتاب الأيمان والنذور ، باب الوفاء بالنَّذْر ، مج15،ص355 .

آخرِ الأجلِ . قال أبو هريرةَ : فردَّ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ رَيْطةً ، كانتْ عليهِ ، على أنفِهِ ، هكذا)[38].

وهذا حديث عن خروج الروح ، اشتمل على أيضاً على التشبيه الضمني :

إذا قبضتْ روحَ المؤمنِ تلقاها ملكانِ يصعدانِ بها . قال حمادٌ : فذكرَ من طيبِ ريحِها ، وذكرَ المسكَ . قال : ويقولُ أهلُ السماءِ : روحٌ طيبةٌ جاءتْ من قِبَلِ الأرضِ .

المعنى : (فذكر) أي: رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الصحابي أبو هريرة ، (من طيب ريحها) أي: أوصافها عظيمة من طيب ريحها (وذكر المسك) أي: بطريق التشبيه أي رائحة كرائحة المسك. وقيل: أي ومن أنواع ذلك المسك[39].

في الحديث تشبيه ضمني في قوله "من طيب ريحها ، وذكر المسك " وهذا التشبيه وإن لم يكن صريحاً إلا أنه يُفهم ضمنياً من معنى الكلام،(أي تخرج من هذه الروح الطيبة رائحة طيبة كرائحة المسك) وفي قوله: "وذكر المسك" دليل على أنه هو نوع العطر المقصود . والله أعلم. ووجه الشبه بين المشبه والمشبه به (الرائحة الزكية الطيبة). والغرض من التشبيه تحسين حال المشبه.

رابعاً: نماذج من التشبيه التمثيلي في الأحاديث القدسية :

من روائع التشبيه التمثيلي في الأحاديث القدسية الحديث الذي اشتمل على عدد من الأمور، تُمثِّل المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها العقيدة الإيمانية ، وبفعلها الإيمانُ ينمو ويقوى ويتكامل وهو:

1) عن الحارث الأشعري رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنَّ اللهَ أمر يحيى بنَ زكريا بخمسِ كلماتٍ أن يعملَ بها ، ويأمرَ بني إسرائيلَ أن يعملوا بها ، وإنه كادَ أن يبطيءَ بها، فقالَ لهُ عيسى أمرك بخمسِ كلماتٍ لتعملَ بها ، وتأمرَ بني إسرائيلَ أن يعملوا بها ، فإما أن تأمرَهم ، وإما أن آمرَهم فقال يحيى : أخشى إن سبقْتَني بها أن يُخسَفَ بي أو أُعَذَّبَ فجمع الناسَ في بيتِ المقدسِ ، فامتلأَ ، وقعدوا على الشُّرُفِ ، فقال إنَّ اللهَ أمرني بخمسِ كلماتٍ أن أعملَ بهنَّ وآمرُكم أن تعملوا بهنَّ . أولاهنَّ أن تعبدوا اللهَ ولا تشركوا به شيئًا ، وإنَّ مثلَ من أشرك باللهِ كمثلِ رجلٍ اشترى عبدًا من خالصِ مالِه بذهبٍ أو وَرِقٍ ، فقال : هذه داري ، وهذا عملي ، فاعملْ وأدِّ إليَّ ، فكان يعملُ ويؤدِّي إلى غيرِ سيِّدِه فأيُّكم يرضى أن يكون عبدُه كذلك ؟ وأنَّ اللهَ أمرُكم بالصلاةِ ، فإذا صلَّيتُم فلا تلتفِتوا ، فإنَّ اللهَ ينصبُ وجهَه لوجهِ عبدِه في صلاتِه مالم يلتفِتْ . وآمرُكم بالصيامِ، فإنَّ مثلَ ذلك كمثلِ رجلٍ في عصابةٍ معه صُرَّةٌ فيها مسكٌ ، فكلُّهم يعجَبُ أو يعجِبُه ريحُها، وإنَّ ريحَ الصائمِ أطيبُ عند اللهِ من ريحِ المسكِ وآمرُكم بالصدقةِ ، فإنَّ مثلَ ذلك كمثلِ رجلٍ أسرَه العدوُّ ، فأوثَقوا يدَه إلى عُنُقِه ، وقدَّموه ليضربوا عُنُقَه ، فقال : أنا أُفدي

[38] صحيح مسلم ،مرجع سابق، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه... ، حديث رقم 2872، مج2، ص1314، (صحيح)

[39] مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح مرجع سابق، رقم الحديث: 1643، ج5، ،ص320.

منكم بالقليل من الكثير ، ففدى نفسه منهم . وآمركم أن تذكروا الله ، فإنّ مثل ذلك كمثل رجل خرج العدوّ في إثره سراعا ، حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم ، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله وأنا آمركم بخمس ، الله أمرني بهنّ السمع ، والطاعة ، والجهاد ، والهجرة ، والجماعة ، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر ، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه ، إلا أن يراجع ، ومن ادّعى دعوى الجاهلية ، فإنه من جثا جهنم فقال رجل يا رسول الله : وإن صلّى وصام ؟ فقال: وإن صلّى وصام ، فادعوا بدعوى الله التي سماكم المسلمين المؤمنين، عباد الله )[40].

في الحديث عدة تشبيهات تمثيلية ، ذُكرت معها أداة التشبيه (مثل) في كلٍّ ، لتدل على التشبيه المرسل ، كما أن وجه الشبه فيها غير موجود ، فهي من نوع التشبيه المجمل . وهي على النحو التالي :

أن قوله ( ولا تشركوا به شيئا ، وإنّ مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بذهب أو ورق ، فقال : هذه داري ، وهذا عملي ، فاعمل وأدّ إليّ ، فكان يعمل ، ويؤدّي إلى غير سيّده فأيّكم يرضى أن يكون عبده كذلك ؟ ).

" ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم- مثل الموحد والمشرك: فالموحد كمن عمل لسيده في داره وأدى لسيده ما استعمله فيه، والمشرك كمن استعمله سيده في داره، فكان يعمل ويؤدي خراجه وعمله إلى غير سيده، فهكذا المشرك يعمل لغير الله تعالى في دار الله تعالى، ويتقرّب إلى عدو الله تعالى بنعم الله تعالى، ومعلوم أن العبد من بني آدم لو كان مملوكه كذلك لكان أمقت المماليك عنده، وكان أشد شيء غضبا عليه وحقودا له وإبعادا، وهو مخلوق مثله، كلاهما في نعمة غيرهما، فكيف برب العالمين الذي ما بالعبد من نعمة فمنه وحده لا شريك له، ولا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يصرف السيئات إلا هو، وهو وحده المنفرد بخلق عبده، ورحمته، وتدبيره، ورزقه، ومعافاته، وقضاء حوائجه، فكيف يليق به مع هذا أن يعدل به غيره في الحب، والخوف، والرجاء، والحلف، والنذر، والمعاملة، فيحب غيره كما يحبه أو أكثر، ويخاف غيره ويرجوه كما يخافه أو أكثر؟"[41].

شبّه حال المشرك الذي خلقه الله تعالى وتفضّل عليه بوافر النعم ونعّمه حقوقه وواجباته التي أساسها الإيمان به وألا يشرك بعبادته شيئاً ، ومع ذلك كفر به وأشرك به غيره ، بحال رجل اشترى عبدا من خالص ماله ، فقال هذه داري وهذا عملي ، فاعمل وأدّ إليّ ، فكان يعمل، ويؤدّي إلى غير سيّده. ووجه الشبه في كلٍّ هو أن كل من (المشرك، والعبد الذي لم تأجر) يعمل لغير

---

[40] المنذري ، عبد العظيم بن عبد القوي ، الترغيب والترهيب ، حكم على أحاديث وآثاره وعلّق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض، ط1، 1424هـ . كتاب الإخلاص ، حديث رقم (754-552-(1) )، مج1، ص249 ،250.(حديث صحيح)

[41] ابن قيّم الجوزية ،شمس الدين أبو عبدالله محمد الصيّب من الكَلِم الطيّب حققه وخرّج أحاديثه :عبد القادر الأرناؤوط وإبراهيم الأرناؤوط ، دمشق، مكتبة دار البيان، د.ط ، 1393هـ -1973م ، ص27

سيده ويخاف منه ولا يمتثل لأمره وطاعته ، فالمشرك يعبد غير الله ويعمل على طاعته والولاء له ، والعبد المسُ ْ تأجر يطيع ويعمل لغير سيده . وقد جاء التشبيه هنا بطرفين مركبين حسيين ، ووجه الشبه صورة حسية مركبة أيضاً . والتشبيه تمثيلي ، والغرض منه بيان حال الكافر.

ب- وهنا لوحة بلاغية أخرى احتوت على التشبيه المستطرف في قولهوآم( ُكم بالصيامِ ، فإنَّ مثلَ عظلكابكمثلِهرجلٍ رَّةٌ فيها مسكٌ ، فكُلُّهم يعجَبُ أو يعجُبه ريحُها ، وإنَّ ريحَ الصائمِ أطيبُ عند اللهِ من رِيحِ المسكِ ).

" إنما مثّل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بصاحب الصُ رَّة التي فيها المسك، لأنها مستورة عن العيون، مخبوءة تحت ثيابه، كعادة حامل المسك، وهكذا الصائم صومه مستور عن مشاهدة الخلق، لا تدركه حواسهم، والصائم هو الذي صامت جوارحه عن الآثام، ولسانه عن الكذب والفحش وقول الزور، وبطنه عن الطعام والشراب، وفرجه عن الرفث، فإن تكلَّم لم يتكلَّم بما يجرح صومه، وإن فعل لم يفعل ما يفسد صومه، فيخرج كلامه كافعًا صالحًا وكذلك أعماله، فهي بمنزلة الرائحة التي يشمّها من جالس حامل المسك، كذلك من جالس الصائم انتفع بمجالسته له، وأمن فيها من الزور والكذب والفجور والظلم"[42] .

فقد شبّه النبي صلّى الله عليه وسلّم صورالصّائم - الذي يستر صومه عن الخلق ويجتنب المعاصي والآثام، فتصلح أقواله وأفعاله ، وينتفع به جلسائه – بصورجل يحمل صُ رَّة فيها مسك مخبئة تحت ثيابه، فيفوح عطرها فيعجب به من جالسه. والتشبيه هنا جاء بطرفين مركبين حسيين، ووجه الشبه صورة عقلية مركبة، وهو نتزع من أمرين ،الأول : تحقق الانتفاع في الاثنين (الصائم ، وحامل المسك) والثاني: الستر ؛ لأن كل منهما يستر ما عنده فالصّائم يستر صومه عن الخلق ، وصاحب المسك يضع المسك في صُ رّة يستره فيها. والغرض من التشبيه الترغيب في الصيام وبيان فضله .

وهذا معنى دقيق للتشبيه يبرز العلاقة بين تشبيه الصائم بحاملُ رَّة المسك ، تقوم الصورة فيها على الجمع بين شيئَيْن يندرالجمعُ بينهما قبل التشبيه ،يوُ نتزع منهما مشابهة مكانت ْ لتعرف إلا بعد لأي وإمعان نظر ، فيكتسي بذلك التشبيه بُعداً وغرابة، واستطرافاً .

وآمر قُوكم بالصدقةِ ، فإنَّ مثلَ ذلك كمثلِ رجلٍ أسرَه العدوفأوثَقوا يدَه إلى عُنُقِه ، وقدَّموه ليضربوا عُنُقَه ، فقال: أنا أُفدي نفسي منكم بالقليلِ والكثيرِ ، ففدى نفسَه منهم).

هذا أيضاً الكلام الذي برهانه وجوده، ودليله وقوعه، فإن للصدقة تأثيرًا عجيبًا في دفع أنواع البلاء، ولو كانت من فاجر أو ظالم، بل من كل، فإن الله تعالى يدفع بها عنه أنواعًا من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقرون به لأنهم قد جرّبوه .. وفي تمثيل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بمنقدّمِ ليضُرْب عنقه فافتدى نفسه منهم بماله

[42] نفس المرجع السابق، ص40،41

كفاية، فإن الصدقة تفدي العبد من عذاب الله تعالى، فإن ذنوبه وخطاياه تقتضي هلاكه، فتجيء الصدقة تفديه من العذاب وتفكه منه[43]".

معروف أن الصدقة تطفئ غضب الرب ، وذنوب الإنسان وخطاياه تقتضي هلاكه، فتجيء الصدقة تفديه وتفُكّه من العذاب ، وتقِيه المهالك وتدفع عنه البلاء. فشبَّه صورة المتصدِّق الذي لا يتوانى في دفع الصدقات ، بصورة رجلٍ أسره الأعداء وأرادوا قتله ففدى نفسه منهم بماله . فالمتصدق يفدي نفسه بما يدفعه من الصدقات من مال أو غيره ، والأسير يفدي نفسه بالمال أيضاً. فكلاهما إذن يفدي نفسه ويخلصها من الهلاك والعذاب ببذل ما عندهن غالٍ ونفيس . وهذا هو وجه الشبه الجامع بين الاثنين ، وهو صورة حسية مركبة .وقد جمع التشبيه أيضاً بين طرفين مركبين حسيين، والتشبيه تمثيلي ، والغرض منه بيان فضل الصدقة والحث عليها.

وآمركم أن تذكروا الله ، فإنّ مثل ذلك كمثل رجلٍ خرج العدوُّ في إثره سراعاً ، حتى إذا أتى على حِصنٍ حصينٍ فأحرز نفسه منهم ، كذلك العبدُ ، لا يُحرز نفسه من الشيطانِ إلا بذكرِ اللهِ ).

قال ابن القيم[44]: " فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقاً بالعبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى وأن لا يزال لهجاً بذكره، فإنه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر، ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة، فهو يرصده فإذا غفل وثب عليه وافترسه،وإذا ذكر الله تعالى انخنس عدو الله تعالى وتصاغر وانقمع حتى يكون كالوصع[45]، وكالذباب، ولهذا سمي الوسواس الخناس ؛ أي يوسوس في الصدور، فإذا ذكر الله تعالى خنس ؛ أي كف وأنقبض"[46] .

الذاكر لله يكون في معية الله سبحانه تعالى وحصنه من مكايدة الشيطان الرجيم، فلا يستطيع غوايته، ولا النيل منه، وحاله "مع ذكر الله عز وجل كحال رجلٍ خرج العدوُّ في إثره سراعاً ، يريدون النيل منه ، حتى وجد حصناً حصيناً فدخل فيه واختبأ منهم، فلم يجدوه . ووجه الشبه بين الحالين القصدُ والتحرُّز بما يحقق الأمان والنجاة من الوقوع في المهالك). والمشبه هنا مركب عقلي "حال الإنسان مع ذكر الله" ، والمشبه به صورة حسية مركبة، ووجه الشبه صورة عقلية مركبة منتزعة من متعدد ، والتشبيه تمثيلي . والغرض منه بيان حال الذاكر. وهذا تشبيه جميل جداً يبيِّن فضل الذكر ، طبق على صورة واقعية حية مشاهدة في الواقع، وهي صورة المطاردة بين مجموعة من القتلة المجرمين لشخص أعزل من السلاح ، ليس أمامه سوى الفرار

---

[43] نفس المرجع السابق، ص50،51

[44] ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعيد بن حريز الزُّرعي الشمس ابن قيِّم الجوزيَّة الحنبلي ، ولد سنة 691هـ. قرأ العربية على المجد التونسي ،والفقه والفرائض على ابن تيمية . صنّف وناظر واجتهد وصار من الأئمة الكبار في التفسير والحديث والفروع والعربية ، من مؤلفاته : زاد المعاد ، الكافية الشافية ، الروح ، وغيرها كثير . توفي سنة 751هـ. السيوطي، بغية الوعاة 62/1، 63

[45] طائر أصغر من العصفور

[46] الصيِّب من الكَلِم الطيِّب ، ص60،61

والبحث عن مكان يختبيء فيه ، فيجد أمامه حصناً منيعاً فيختبئ بداخله. فأي صورة أبلغ في توضيح فضل الذكر من هذه !وأي حصنٍ منيع يتحصن به الذاكر !؟ إنه حصن الله المنيع الذي لا تخترقه سهام العدو ولا نيرانهم ، ولا يوجد ماهو آمن منه ولا أحصن.

**2)** ومن الأحاديث القدسية التي اشتملت على تشبيهات بعيدة وغريبة ،و جمعت بين أطراف عقلية ووجه شبه حسي ، الحديث الآتي :

عن النبي ذرٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فيما روى عن اللهِ تبارك وتعالى أنَّهُ قال ( يا عبادي ! إني حرَّمتُ الظلمَ على نفسي وجعلتُهُ بينكم محرَّمًا . فلا تظَّالموا. يا عبادي! كلكم ضالٌّ إلا من هديتُهُ فاستهدوني أَهْدِكم. يا عبادي! كلكم جائعٌ إلا من أطعمتُه. فاستطعموني أُطعمكم . يا عبادي ! كلكم عارٍ إلا من كسوتُه. فاستكسوني أكْسُكُم. يا عبادي! إنكم تُخطئون بالليلِ والنهارِ ، وأنا أغفرُ الذنوبَ جميعًا . فاستغفروني أغفرُ لكم . يا عبادي ! إنكم لن تبلغوا ضرِّي فتضروني . ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني . يا عبادي ! لو أنَّ أوَّلكم وآخركم وإِنْسَكم وجِنَّكم كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ واحدٍ منكما.زاد ذلك في ملكي شيئًا . يا عبادي ! لو أنَّ أوَّلَكم وآخركم . وإِنْسَكم وجِنَّكم . كانوا على أفجرِ قلبِ رجلٍ واحدٍ . مانقص ذلك من ملكي شيئًا . يا عبادي! لو أنَّ أوَّلَكم وآخركم وإِنْسَكم وجِنَّكم قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني . فأعطيتُ كل إنسانٍ مسألتَه مما عندي إلا كما ينقص المِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ البحرَ .يا عبادي ! إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم . ثم أوفِّيكم إياها. فمن وجد خيرًا فليحمدِ اللهَ . ومن وجد غيرَ ذلك فلا يلومَنَّ إلا نفسَهُ )[47].

قوله تعالى: (ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر)المِخْيَطُ: بكسر الميم وفتح الياء هو الإبرة : قال العلماء : هذا تقريب إلى الأفهام ، ومعناه لا ينقص شيئا أصلا ...؛ لأن ما عند الله لا يدخله نقص ،وإنما يدخل النقص المحدود الفاني، وعطاء الله تعالى من رحمته وكرمه ، وهما صفتان قديمتان لا يتطرق إليهما نقص ، فضرب المثل بالمخيط في البحر ، لأنه غاية ما يضرب به المثل في القلة ، والمقصود التقريب إلى الإفهام بما شاهدوه ؛ فإن البحر من أعظم المرئيات عيانا ، وأكبرها ، والإبرة من أصغر الموجودات ، مع أنها صقيلة لا يتعلق بها ماء[48].

التشبيه في قوله: (ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ البحرَ ) تشبيه تمثيلي ، حيث شبه أخذ الإنس والجن من عطاء الله الواسع الذي ليس له حدود ، بمقدار أخذ الإبرة (أي مايعلق بها) من ماء البحر إذا غمست وأخرجت منه ، ووجه الشبه بينهما هو " صورة شيءكبير به شيء كثير لا ينقص مهما أُخِذ منه " ، وهو صورة مركبة. والمشبه في هذا التشبيه

---

[47] رواه مسلم ،مرجع سابق، كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم ، حديث رقم 2577، ،مج2، ص1198 ،1199(حديث صحيح)

[48] النووي ،مرجع سابق ، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم ، حديث رقم 2577، ،ج16، ص200، 201

مركب عقلي ، والمشبه به مركب حسي، وذكرت أداة التشبيه (كما) فالتشبيه مرسل ، ومجمل لعدم ذكر وجه الشبه. والغرض منه تأكيد أن ما عند الله تعالى لا ينقص أبداً .

والتشبيه هنا من التشبيهات البعيدة الغريبة ، وفيه من الاستطراف ما يبهر العقول، فالإبرة معدن ، مصغول، أملس السطح ، إذا دُخِلت في الماء تخرج دون بلل لانزلاق المياه عن سطحها ، فلا تنقص منه شيئاً ، كذلك ملك الله ونعمه وعطاياه لا تنقص مهما أخذ منها ، فالله سبحانه وتعالى واسع الفضل عظيم النوال لا ينقص العطاء خزائنه، فهو القائل جل جلاله: **(مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ).**[49] وفيه تقريب للصورة ، وإلا فليس هناك ثمَّة تطابق بين ما تأخذه الإبرة من ماء البحر المحدود بحدوده المعلومة ، وبين ما يأخذه جميع المخلوقات من عطاء الله غير المحدود.

3) عن أبي هريرة –رضي الله عنه- قال: قالوا : يا رسول الله هل نرى ربَّنا يوم القيامة ؟ " قال هل تُضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ، ليست في سحابة ؟ " قالوا : لا . قال" فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ، ليس في سحابة ؟" قالوا : لا . قال " فوالذي نفسي بيده! لا تُضارون في رؤية ربِّكم إلا كما تُضارون في رؤية أحدهما")[50].

قوله : (هل تضارون) : روي بتشديد الراء وضم التاء بصيغة المفاعلة من الضر ، وأصله (تضاررون) ومعناه : هل تضرون غيركم أو يضركم أحد في حالة الرؤية بزحمة أو مخالفة في الرؤية أو غيرها لخفائه؟ والاستفهام إنكاري بمعني النفي ؛ أي لا يحصل ذلك كما لا يحصل عند رؤيتكم القمر ليلة البدر . أو تقريري ،مفاده أقروا وقالوا لا ، قال : فإنكم ترونه كذلك . قوله: (فإنكم ترونه كذلك) معناه تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشك ورفع المشقة والاختلاف[51].

التشبيه هنا –كما ذُكِر- تشبيه الرؤية بالرؤية ، وهو تشبيه تمثيل . شبَّه رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة بأنها تكون واضحة وجلية لا يحجبها شيء ، مثل رؤية الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب يحجب عنها الرؤية ، ومثل رؤية القمر في ليلة البدر ليس دونه سحاب يحول دون رؤيته ووضوحه ، فوجه الشبه هو: الوضوح والجلاء الذي لا يحجبه شيء.(والله أعلم).

وقد جاء طرفا التشبيه مفردان مقيدان حسيان، ووجه الشبه مركب حسي، وذكر في التشبيه الأداة (كما)، فالتشبيه مرسل . ومجمل لعدم ذكر وجه الشبه. والغرض من التشبيه هو بيان إمكان حال المشبه .

وفي الحديث حوار لطيف شيِّق دار بين النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه باستخدام أسلوب الاستفهام الذي دفعهم لانتباه لموضوع الحديث بكل جوارحهم وشوقهم لمعرفة الإجابة التي أثلجت صدورهم وبعثت فيهم حالة من الارتياح والسعادة والشوق لرؤية الله سبحانه وتعالى.

---

[49] سورة النحل ، الآية (96)

[50] رواه مسلم مرجع سابق، كتاب الزهد والرقاق، حديث رقم 2968، ،مج2، ص1356. (حديث صحيح)

[51] موسى شاهين لاشين، مرجع سابق،كتاب الإيمان، باب رؤية المؤمنين لربهم في الجنة (مختصراً) ،ج1، ص603

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(يدخل أهل الجنة الجنةَ وأهل النار النارَ ، ثم يقول الله تعالى: اذهبوا إلى من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ، فيخرجون منها قد اسودُّوا، فيُلقَون في نهر الحيا، أو الحياة شكَّ مالك، فينبتون كما تنبت الحبَّةُ في جانب السيل ، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية )[52].

" الحيا " هو: المطر، قاله الخطابي وغيره .وأما الحبَّة بكسر الحاء فهي أصول النبات والعشب [وقيل البقلة أو الريحانة]، وقيل: إنها تنزل مع المطر من السماء. وجانب السيل أو [حميل السيل كما في بعض الروايات] : محموله؛ فإن السيل يحمل من الغثاء ونحوه ما ينبت منه العشب، وشبه نبات الخارجين من النار إذا ألقوا في نهر الحيا – أو الحياة – بنبات هذه الحبة لمعنيين: أحدهما: سرعة نباتها. والثاني: أنها صفراء ملتوية ثم تستوي وتحسن، فكذلك ينبت من يخرج من النار بهذا الماء نباتاً ضعيفاً ثم يقوى ويكمل نباته ويحسن خلقه.[53]

شبه صورة الناجين من النار ، بعد إدخالهم نهر الحيا وإنباتهم فيه وبعث الحياة فيهم من جديد، وخروجهم منه في حالة من الضعف، ثم يتسارع نموهم شيئاً فشيئاً فيصبحوا نضرين منبسطين متبخترين، بصورة خروج الحبة أو( الريحانة) من جانب السيل صفراء ملتوية ، ثم تحسن وتجمل شيئاً فشيئاً . والمشبه والمشبه به مركبان حسيان . ووجه الشبه بين المشبهين هو: الضعف في أول الخروج، ثم سرعة الإنبات، وبلوغ الحسن والطراوة، وهو مركب حسي. والتشبيه تمثيلي، انبنى على صورة حسية مأخوذة من حياة البادية ، كالماء، والنبات، تقريباً للصورة ، وجيء فيه باداة التشبيه (كما) فالتشبيه مرسل ، ومجمل باعتبار عدم ذكر وجه الشبه . والاستفهام في قوله صلى الله عليه وسلم ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية للتصوير والتشهد كأنه حاضر وشاهد . والغرض من التشبيه تحسين حال المشبه .

خامساً : نماذج لأحاديث قدسية اشتمل الواحد منها على أنواع مختلفة من التشبيهات:

وهذا التقسيم جاء في الأحاديث القدسية التي حوى الحديث الواحد منها تشبيهات مختلفة ومتنوعة ، ومعظمها جاء متضمناً جانباً حوارياً أو قصصياً . وحتى لا ينقطع التسلسل القصصي في الحديث، وتفقد القصة متعتها وإثارتها أفردت بالدراسة في هذا القسم .

1) الحديث يحكي قصة موسى عليه السلام والخضر، وذلك حين ظنَّ موسى عليه السلام أنه من هو أعلم منه، فأنَّبه الله له أنَّ هناك رجلاً اسمه الخضر ، فسافر إليه موسى عليه السلام، حتى واراه ثوب السفينة وقتل الغلام وبناء الجدار ، تبيَّن منها لموسى عليه السلام مدى علم الخضر العلوم الغيبيَّة التي أعلمه الله بها. وقد اشتمل الحديث على تشبيهين رائعين ، وسيذكر الباحث هنا بداية الحديث تمهيداً لفهم الصورة البيانية:

---

[52] رواه البخاري ،مرجع سابق، كتاب الإيمان ، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال ، حديث رقم 22 ، ص27-28

[53] العسقلاني، مرجع سابق، كتاب الإيمان ، حديث رقم 22 ، ص94-96

(... حدثني أبيٌّ بنُ كعبٍ : أنه سمعَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقول:( إن موسى قامَ خطيباً سرائيلَ ، فسُئِلَ بَنِي أيُّ الناسِ أعلمُ ؟ فقال: أنا ، فعَتَبَ اللهُ عليه إذ لم يردَّ العلمَ إليه ، فأوحَى اللهُ إليه إن لي عبداً بمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ هو أعلمُ منك ، قال موسى: يارب ِ فكيف لي به ؟ قال: تأخذُ معك حوتاً فتجعلُه في مِكْتَلٍ فحَيْثما فقدتَ الحوتَ فهو ثَمَّ ...) [54] [55].

وتستمر القصة إلى أن يقول: (الصخرة وضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوتُ في المِكْتَلِ فخرج منه فسقط في البحرِ سرباً ، وأمسكَ اللهُ عن الحوتِ جِرْيَةَ الماءِ فصار عليه مثل الطاقِ ).

المعنى : قوله :"واضطرب الحوت في المِكْتَل فخرج منه فسقط في البحر" .. قيل : اضطرب أولاً في المِكْتَل فلما سقط في الماء اضطرب أيضاً ، فاضطرابه الأول فيما في مبدأ ما حيي ، والثاني في سيره في البحر حيث اتخذ فيه مسلكاً ...قيل:" وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شيء إلا حيي ، فأصاب الحوت من ماء تلك العين فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر " .وقال آخر ".. في دخول الحوت العين دلالة على أنه كان حيي قبل دخوله،..والله قادر على أن يحييه بغير العين[56].

وأمسكَ اللهُ عن الحوتِ جِرْيَةَ الماءِ ) فبقي في فجوة ظاهراً .(فصار عليه مثل الطاقِ )، والطاق: كوة تتخذ في الحائط ، غير نافذة ، توضع فيها الأشياء.[57]

التشبيه الأول : في قوله (فصار عليه مثل الطاق) حيث شبّه النبي صلى الله عليه وسلم (الماء) بعد دخول الحوت فيه عندما أمسك الله جرية الماء، بالطاق (الكوة) ، ووجه الشبه بينهما هو الشكل. وهو تشبيه مفرد ، وطرفاه مفردان حسيان وكذلك وجه الشبه ، وذكرت فيه أداة التشبيه (مثل) فهو مرسل ، ومجمل أيضاً .والغرض من التشبيه بيان إمكان حال المشبه .

وتستمر القصة بتطور أحداثها إلى أن وصل سيدنا موسى وفتاه إلى السفينة وحدث ما حدث من خرق السفينة .. إلى قوله:

(قال: وجاء عصفورٌ فوقعَ على حرفِ السفينةِ ، فنقرَ في البحرِ نقرةً ، فقال له الخضرُ : ما علمِي وعلمُك من علمِ اللهِ ، إلا نقصَ هذا العصفورُ من هذا البحرِ ) .

المعنى قوله : ( فجاء عصفور ) بضم أوله ، قيل هو الصردُ ، وقيل أنه الخطاف .. وقوله: (إلا مثل ما نقصَ ) لفظ النقص ليس على ظاهره ؛ لأن علم الله لا يدخله النقص ، فقيل معناه لم يأخذ، وهذا توجيه حسن . ويكون التشبيه واقعاً على الأخذ لا على المأخوذ منه ، وأحسن منه أن المراد

---

[54] المِكْتَل بكسر الميم وسكون الكاف وفتح التاء هو : القُفة أو الزنبيل

[55] أنظر الحديث كاملاً في البخاري ، مرجع سابق،كتاب التفسير ، باب (وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا)، حديث رقم 4725، ص909 ،910(حديث صحيح).

[56] العسقلاني ،مرجع سابق،كتاب التفسير ، سورة الكهف،(مختصراً) مج10،ص325 ،326 .

[57] موسى شاهين لاشين، مرجع سابق ،كتاب الفضائل، باب فضائل موسى عليه السلام ... ،ج9، ص270

بالعلم المعلوم بدليل دخول حرف التبعيض ؛ لأن العلم القائم بذات الله تعالى صفة قديمة لا تتبعض ، والمعلوم هو الذي يتبعض . وقيل أن نفي النقص أطلق على سبيل المبالغة . وقيل " إلا " بمعنى (ولا) أي : ولا كنقرة هذا العصفور . قال القرطبي: من أطلق اللفظ هنا تجوز لقصده التمسك والتعظيم ، إذ لا نقص في علم الله ولا نهاية لمعلوماته . وقد وقع في رواية ابن جريج بلفظ أحسن سياقاً من هذا وأبعد إشكالاً فقال: "ما علمي وعلمك في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور بمنقاره من البحر"[58].

التشبيه الثاني : في قول الخضر لموسى-عليهما السلام- مَا (علمِي وعلمُك من علمِ الله إلا مثل ما نقصَ هذا العصفورُ من هذا البحرِ ) شبّهت نسبة علم موسى والخضر عليهما السلام – في جنب علم الله الواسع- بنسبة قطرة الماء التي يأخذها العصفور الصغير بمنقاره من البحر الكبير، فعلمهما لا أثر له في علم الله ، كما أن ما أخذه العصفور بمنقاره من البحر لا أثر له بالنسبه إلى ماء البحر. والمشبه هنا أمر عقلي مفرد مقيد ، والمشبه به مركب حسي . ووجه الشبه بين المشبه والمشبه به مركب حسي هو : صورةنسبة شيء قليل وحقير جداً إلى شيء كثير جداً لانهاية له .

تشبيه تمثيلي رائع ، فالكل يعرف طبيعة العصفور ومدى سرعته في التقاط الأشياء من طعام أو شراب ، فمقدار الماء الذي يأخذه بمنقاره في أقل من ثانية يكون شيئاً يسيراً للغاية ، وهذا الوصف الجميل لحركة العصفور السريعة أطفى على النص حركة وحيوية خلقت في الذهن صورة توضح قلّة ما يعلق بمنقار هذا الطائر الصغير من ماء البحر الواسع، مع العلم بأن البحر مهما وسع وعظم له حدود ينتهى عندها ، فكيف بعلم الله الذي لا تحده الحدود ولا منتهى له .فالشيء اليسير الذي يعلق بمنقار العصفور من مياه البحر هو كنسبة علم موسى والخضر إلى علم الله تعالى . لا شك أنها نسبة ضئيلة لا تكاد تذكر .وقد جاء التشبيه هنا لتبيين المبالغة في القلّة .

2)عن البراء بن عازب رضي الله عنه . قال: خرجْنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولمّا يُلْحَدْ بعدُ ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله، كأنما على رءوسنا الطير، وبيده عود ينكت به في الأرض، فرفع رأسه فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر مرّتين أو ثلاثاً" ثمّ قال: إنّ العبدَ المؤمنَ إذا كان في انقطاعٍ من الدُّنيا وإقبالٍ إلى الآخرة نزل إليه ملائكةٌ من السّماءِ بيضُ الوجوهِ كأنّ وجوهَهم الشّمسُ معهم كفنٌ من أكفانِ الجنّةِ وحَنوطٌ من حنوطِ الجنّةِ حتّى يجلسوا منه مدّ البصرِ ثمّ يجيءُ ملَكُ الموتِ عليه السّلامُ حتّى يجلسَ عند رأسِه فيقولُ أيّتها النّفسُ الطّيّبةُ اخرجي إلى مغفرةٍ من اللهِ ورضوانٍ قال فتخرُجُ فتسيلُ كما تسيلُ القطرةُ من في السّقاءِ فيأخذُها فإذا أخذها لم يدَعوها في يدِه طرْفةَ عينٍ حتّى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفنِ وفي ذلك الحنوطِ ويخرُجُ منها كأطيَبِ نفْحةِ مِسكٍ وُجِدت

[58] العسقلاني، مرجع سابق، المكتبة الشاملة، سُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ فَيَكِلُ الْعِلْمَ إِلَى اللَّهِ ، مج1،ص383 ،384

على وجه الأرض قال فيصعدون بها فلا يمرّون يعني بها على ملأ من الملائكة إلاّ قالوا ما هذا الرُّوح الطّيّب فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه الّتي كان يسمُّونه بها في الدُّنيا حتّى ينتهوا بها إلى السّماء الدُّنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيّعه من كلّ سماء مقرّبوها إلى السّماء الّتي تليها حتّى ينتهي بها إلى السّماء السّابعة فيقول الله عزّ وجلّ اكتبوا كتاب عبدي في علّيّين أعيدوه إلى الأرض فإنّي منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارةً أخرى قال فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربُّك فيقول ربّي الله فيقولان له ما دينك فيقول ديني الإسلام فيقولان له ما هذا الرّجل الّذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان له وما علمك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدّقته فينادي منادٍ من السّماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنّة وألبسوه من الجنّة وافتحوا له بابًا إلى الجنّة قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مدّ بصره قال ويأتيه رجلٌ حسن الوجه حسن الثّياب طيّب الرّيح فيقول أبشر بالّذي يسرُّك هذا يومك الّذي كنت توعد فيقول له من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير فيقول أنا عملك الصّالح فيقول ربّ أقم السّاعة حتّى أرجع إلى أهلي ومالي قال وإنّ العبد الكافر إذا كان في انقطاعٍ من الدُّنيا وإقبالٍ من الآخرة نزل إليه من السّماء ملائكةٌ سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مدّ البصر ثمّ يجيء ملك الموت حتّى يجلس عند رأسه فيقول أيّتها النّفس الخبيثة اخرجي إلى سخطٍ من الله وغضبٍ قال فتفرّق في جسده فينتزعها كما ينتزع السّفُّود من الصّوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عينٍ حتّى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفةٍ وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرّون بها على ملأٍ من الملائكة إلاّ قالوا ما هذا الرُّوح الخبيث فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه الّتي كان يسمّى بها في الدُّنيا حتّى ينتهى به إلى السّماء الدُّنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثمّ قرأ رسول الله ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[59] ...)[60].

هذا حديث طويل عظيم في الموت، حدّث به النبي صلى الله عليه وسلم في مناسبة دفن جنازة، وقد وصف فيه النبي صلى الله عليه وسلم حالي المؤمن والكافر في اللحظات الأخيرة من الدنيا وذكر مشاهد مرعبة تقشعر لها الأبدان في شرح كيفية خروج الروح، مستخدماً بيانه العذب وملكته العالية في دقة وصف الأشياء وتشبيهاتها. ولتقريب الصورة الغيبية التي في الحديث جاءت التشبيهات كلها بأشياء حسية مشاهدة في الواقع الدنيوي . كما أن هناك تنوع ظاهر في أنماط التشبيهات . ومن ذلك ما يلي :

قوله : (إنّ العبد المؤمن إذا كان في انقطاعٍ من الدُّنيا وإقبالٍ من الآخرة نزل إليه ملائكةٌ من السّماء بيض الوجوه كأنّ وجوههم الشّمس ).

---

59 سورة الأعراف، الآية ر(40)

60 المنذري ،مرجع سابق،كتاب الجنائز وما يتقدمها، رقم الحديث (5119-3558-(13))، مج3،ص1281 ،1282.(حديث صحيح)

المعنى : (إنالعبد المؤمن إذا كان في انقطاع ) أي : إدبار. (من الدنيا وإقبال من الآخرة) أي: اتصال بها .( نزل إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه ) إظهارا للُطف والعناية، أو انعكاسا من أنوار صاحب الهداية.(كأن وجوههم الشمس)أي: وجه كل واحد منهم كالشمس[61].

**التشبيه الأول:** قوله ( كأنَّ وجوهَهم الشَّمسُ ).

وقد جاء بطرفين حسيين ، حيث شبه وجوه الملائكة بالشمس ، وذكر أداة التشبيه (كأن) لتزيد الشبه تأكيداً ، فالتشبيه مرسل ، كما أنه مجُمل لعدم ذكر وجه الشبه صراحة ، وإنما لُمِح من معنى التشبيه: وهو (الضياء أو الإشراق)، وهو مفرد حسي . والغرض من التشبيه تزيين حال المشبه .

قوله :( ثمَّ يجيءُ ملَكُ الموتِ عليه السَّلامُ حتَّى يجلسَ عند رأسِه فيقولُ أيَّتها النَّفسُ الطَّيِّبةُ اخرُجي إلى مغفرةٍ من اللهِ ورضوانٍ قال فتخرُجُ فتسيل كُما تسيلُ القطرةُ من في السِّقاءِ .

المعنى: (أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان) أي : ليس أمامك إلا المغفرة والرضوان وفيهما إشارة إلى بشارة دفع العذاب، وكمال الثواب.( قال) أي :النبي- صلى الله عليه وسلم- (فتخرج) أي: روحه.( تسيل) حال.(كما تسيل القطرة) أي: كسيلان القطرة في السهولة[62].

**التشبيه الثاني:** قوله ( فتسيلُ كما تسيلُ القطرةُ من في السِّقاءِ ) ،فشبه خروج روح المؤمن بخروج قطرة الماء من فم السقاء أو القربة، فالمشبه مفرد عقلي ، والمشبه به مفرد مقيد حسي ، ووجه الشبه بينهما السهولة والسلاسة في الخروج ، وهو مفرد عقلي. والتشبيه أيضاً مرسل ومجمل. والغرض من التشبيه بيان كيفية خروج الروح الطيبة .

- قوله : (فيأخذُها فإذا أخذَها لم يدَعوها في يدِه طرفةَ عينٍ حتَّى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفنِ وفي ذلك الحنوطِ ويخرُجُ منها كأطيَبِ نفْحةِ مِسكٍ وُجِدت على وجهِ الأرضِ ).

المعنى :( فيأخذها) أي : ملك الموت . ( فإذا أخذها لم يدعوها ) يتركوها . ( في يده طرفة عين) أدباً معه أو اشتياقا إليها وفيه إشارة إلى أن ملك الموت إذا قبض روح العبد [المسلم] سلمها إلى أعوانه الذين معهم كفن من أكفان الجنة .( حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن) من أكفان الجنة. ( وفي ذلك الحنوط ) أي : الجني . ( ويخرج منها ) أي : من الروح ريح أو شيء.( كأطيب نفحة مسك) أي : مثل أطيبها فالكاف مثلية . قال الطيبي: صفة موصوف محذوف هو فاعل يخرج ، أي : يخرج منها رائحة كأطيب نفحة مسك( وُجِدَت على وجه الأرض ) أي : جميعها منذ خلقت الدنيا إلى فنائها[63] .

**التشبيه الثالث:** (ويخرجُ منها كأطيَبِ نفْحةِ مِسكٍ وُجِدت على وجهِ الأرضِ ) حيث شبه الرائحة التي تخرج من الروح الطيبة بعد وضعها في الكفن والحنوط برائحة أطيب مسك وجد على

---

[61] علي بن سلطان محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاريء، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، بيروت-لبنان، دار الفكر، ط1، 1422هـ -2002م ،ج3، ص 1176 .

[62] نفس المرجع السابق ،ج3، ص 1176 .

[63] نفس المرجع السابق ،ج3، ص 1176 ، 1177.

وجه الأرض . ووجه الشبه بينها الرائحة الطيبة الزكية. وجاء التشبيه بطرفين مفردين حسيين ، ووجه شبه مفرد حسي ، والتشبيه كذلك مرسل ومجمل . والغرض منه تزيين حال المشبه. وقوله: " كأطيَبِ نفْحةِ مِسكٍ " يدل على أن المسك أصناف وأنواع ، وأن رائحة هذه الروح الطيبة كانت من أجمل وأفخم أنواع المسك الموجودة على الأرض .

**ثم بعد ذلك يصف النبي صلى الله عليه وسلم خروج الروح الخبيثة :**

- قال عليه الصلاة والسلام: (ثمَّ يجيءُ ملَكُ الموتِ حتَّى يجلِسَ عند رأسِه فيقولُ أيَّتها النَّفسُ الخبيثةُ اخرُجي إلى سخطٍ من اللهِ وغضبِه فتفرَّقُ في جسدِه فينتزِعُها كما يُنتزَعُ السَّفُّودُ من الصُّوفِ المبلولِ ) .

المعنى : ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : (أيتها النفس الخبيثة) أي : خبيثة الخصال غير مرضية الأعمال . ( اخرجي في سخط من الله ) أي : إلى آثار غضب الله من أنواع عقابه . (قال) أي : النبي صلى الله عليه وسلم: ( فتفرق) بحذف إحدى التائين أي : الروح. ( في جسده) قال الطيبي أي : كراهة الخروج إلى ما يسخن عينه من العذاب الأليم. ( فينتزعها) أي : ملك الموت يستخرج روحه بعنف وشدة ومعالجة . (كما يُنْتَزَع) بالبناء للمجهول ، وفي رواية كما ينتزع (السفود) كتنور أي: الشوك أو الحديد التي يشوى بها اللحم . (من الصوف المبلول) قال الطيبي: شبه نزع روح الكافر من أقصى عروقه بحيث يصحبه العروق كما قال في الرواية الأخرى : وتنزع نفسه مع العروق نزع السفود وهو الحديد التي يشوى بها اللحم فيبقى معها بقية من المحروق ، فيستصحب عند الجذب شيئاً من ذلك الصوف مع قوة وشدة[64].

والتشقيله الرابع: (فينتزِعُها كما يُنتزَعُ السَّفُّودُ من الصُّوفِ المبلولِ ) في هذا تشبيه تمثيلي لخروج الروح الخبيثة ، فشبه صورة نزع روح الكافر من جسده - بعد تشبثها بعروقه لأنها عرفت ما سيحل بها من العذاب فلا تريد الخروج بنزع الحديدة التي يُشوى بها اللحم فيلتصق بها عند جذبها شيئٌ من اللحم والصوف ، ووجه الشبه هنا الشدة والصعوبة في محاولة انتزاع شيء من شيء لشدة التصاقه وتشبثه به .وبالرغم من قساوة المشهد الذي يصوِّره الحديث إلا أنه اشتمل على تشبيه رائع لا يتأتى إلا لحصيفٍ بارع في جمع الأطراف المتباعدة وتأليف العناصر الغريبة ، فالروح والسفود شيئان مختلفان تماماً ، بعيدان كل البُعد عن بعضهما البعض، كما أن أحدهما عقلي والآخر حسي، ومع ذلك استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يجمع بينهما في هذا التشبيه البديع، وانتزع منهما وجه شبه مركب من عدة أشياء، فالتشبيه هنا بعيد ومستطرف ، وجاء بطرفين مركبين حسيين، والمشبه به صورة منتزعة من متعدد ، والتشبيه مرسل لذكر أداة التشبيه (كما) . والغرض منه بيان الشدة في خروج الروح الخبيثة.

---

[64] نفس المرجع السابق ،ج3، ص 1179

ومع جمال صورة التشبيه التمثيلي ، وما به من روعة في الوصف ، يوجد هناك ناحية أخرى تتعلّق بجانب التأثير النفسي لدى المستمع ، فوصف اللحظات الأخيرة لحياة الإنسان عموماً ، ووصف كيفية خروج الروح الخبيثة على وجه الخصوص ، لا تمر على المستمع مرور الكِرام ، لأن الذهن دائماً سيكون في حالة استحضار لهذه الصورة المنفّرة التي تبعث على الخوف والرعب ، فتكون بمثابة عِظة وعبرة لمن انغمس في الشهوات وضلّ عن سواء السبيل، علّه يرتدع ويعود إلى الصواب ، وهذا من أسمى غايات التشبيه.

قوله : (فيأخذُها فإذا أخذها لم يدَعوها في يدِه طرفةَ عينٍ حتَّى يجعلوها في تلك المُسوحِ (ويخرُجُ منها كأنتنِ ريحٍ وُجِدت على وجهِ الأرضِ ).

المعنى : ( فيأخذها) أي : ملك الموت. ( فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين ) أي : مبادرة إلى الأمر . (حتى يجعلوها في تلك المسوح) ، ويخرج ( منها ) أي : من روح الكافر عند خروجها من جسده ( كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض) [65].

**التشبيه الخامس:** جاء بطرفين مفردين حسيين، أحدهما مطلق وهو المشبه ، والآخر مقيد وهو المشبه به ، حيثُ شبِّهت (الرائحة الكريهة) التي تخرج من الروح الخبيثة أثناء صعود الملائكة بها إلى السماء، (برائحة أنتن جيفة) أي مقيدة بكونها من "أنتن جيفة وجدت على وجه الأرض" . ووجه الشبه بينهما (رائحة النتنة المتعفّنة) ، وهو مفرد حسي . والتشبيه هنا مرسل ومجمل. والغرض من التشبيه تقبيح وتشويه المشبه للتنفير من حاله.

3) ومما ذكِر من قول رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّمَ الدَّجّالَ ذاتَ غَداةٍ . فخفض فيه ورفَع . حتى ظنناه في طائفةِ النخلِ . فلما رُحْنا إليه عرف ذلك فينا . فقال: ما شأنُكم ؟ " قلنا: يا رسولَ اللهِ ! ذكرتَ الدجالَ . فخفضتَ فيه ورفعتَ . حتى ظنناه في طائفةِ النخلِ . فقال " غيرُ الدجالِ أخوفُني عليكم . إن يخرج ، وأنا فيكم ، فأنا حَجيجُه دونكم . وإن يخرج ، ولستُ فيكم، فامرؤ حجيجٌ نفسَه . واللهُ خليفتي على كلّ مسلمٍ . إنه شابٌّ قَطَطٌ . عينُه طافئةٌ . كأني أشبّهُه دِ العُزّى بنِ بعبقَطَنٍ . فمن أدركه منكم فليقرأْ عليه فواتحَ سورةِ الكهفِ . إنه خارجٌ خَلّةٌ بين الشامِ عراقِ . فعاثَ يمينًا وعاث شمالاً . يا عبادَ اللهِ ! فاثبُتوا " قلنا : يا رسولَ اللهِ ! وما لُبثُه في الأرضِ ؟ قال " أربعون يومًا . يوم كسنةٍ . ويوم كشهرٍ . ويوم كجمعةٍ وسائرُ أيامِه كأيامِكم " : يا رسولَ اللهِ ! فذلك اليومُ الذي كسنةٍ ، أتكفينا فيه صلاةُ يومٍ ؟ قال " : اقدُروا له قَدرَه " : يا رسولَ اللهِ ! وما إسراعُه في الأرضِ ؟ قال " كالغيثِ استدبرتْه الريحُ . فيأتي على القومِ فيدعوهم، فيؤمنون به ويستجيبون له . فيأمر السماءَ فتمطر . والأرضُ فتنبتُ . فتروح عليهم سارحتُهم ، أطولُ ما كانت ذرًى، وأسبغُه ضروعًا ، وأمدُّه خواصرَ . ثم يأتي القومَ . فيدعوهم فيردُّون عليه قولَه . فينصرف عنهم . فيصبحون ممْحَلين ليس بأيديهم شيءٌ من أموالِهم. ويمرُّ بالخَربةِ

[65] نفس المرجع السابق، ج3، ص 1179

فيقول لها : أخرجي كنوزك . فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل . ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً . فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه . يضحك . فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين . واضعاً كفيه على أجنحة ملكين . إذا طأطأ رأسه قطر. وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ. فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات. ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه . فيطلبه حتى يدركه بباب لد. فيقتله . ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه . فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة . فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى : إني قد أخرجت عباداً لي ، لا يدان لأحد بقتالهم . فحرز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون . فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية . فيشربون ما فيها . ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه ، مرة ، ماء . ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه. حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم . فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه . فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة . ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض . فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم . فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله . فيرسل الله طيراً كأعناق البخت . فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله . ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر . فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة . ثم يقال للأرض : أنبتي ثمرك ، ورديّ بركتك . فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها . ويبارك في الرسل . حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس . واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس . واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس. فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة . فتأخذهم تحت آباطهم. فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم . ويبقى شرار الناس ، يتهارجون فيها تهارج الحمر ، فعليهم تقوم الساعة "[66].

يحكي الحديث صورة واقعية لأحوال الناس آخر الزمان ، حيث ظهور علامات الساعة الكبرى ، من ظهور المسيح الدجال ، ونزول عيسى عليه السلام للأرض ، وظهور يأجوج ومأجوج.

وإن الحديث ذاخر بالصور الفنية البيانية التي كان التشبيه جزءاً أساسياً فيها. وهي كالآتي :

قال النبي صلى الله عليه وسلم :

( إنه شابٌ قطط . عينه طافئة . كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن ).

قوله صلى الله عليه وسلم (إنه شابٌ قطط) "القطط" بفتح القاف والطاء أي:شديد القصر ، وقيل شديد جعودة الشعر ، وعبد العزى بن قطن رجل من بني المصطلق ، من خذاعة ، هلك في الجاهلية[67].

---

[66] رواه البخاري، مرجع سابق ،كتاب الفتن وأشراط الساعة باب الدجال وصفته وما معه ، حديث رقم (2937)،ص341، 342، 343 (صحيح).

[67] موسى شاهين لاشين ، مرجع سابق،كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال،ج10، ص 537.

شُبِّهَ المسيح الدجَّال برجل اسمه عبد العُزى بن قطن. ووجه الشبه هنا في الهيئة التي منها "جعودة الشعر والعين الطافئة"، وهو متعدد حسي. والتشبيه جاء بطرفين مفردين حسيين، وقد ذُكِرت أداة التشبيه وهي الفعل (أشبَهُه)، فالتشبيه هنا مرسل ، ومُجمل لعدم ذكر وجه الشبه، والغرض من التشبيه بيان هيئة المشبه.

(قلنا2:-يا رسولَ اللهِ ! وما لُبثُه في الأرضِ ؟ قال " أربعون يوماً يومٌ كسنةٍ . ويومٌ كشهرٍ . ويومٌ كجمعةٍ . وسائرُ أيامِه كأيامِكم ).

وهنا تشبيه للأيام الأربعين التي سيمكثها الدجال في الأرض : فيوم يمرُّ على الناس كأنه سنة كاملة من شدة طوله عليهم ، ويوم أشبه بالشهر ، ويوم أشبه بالجمعة ، وبقية أيامِه كالأيام العادية، فالأيام يتناقص طولها تدريجياً رحمة بالعباد . وكل هذه التشبيهات جاءت بطرفين مفردين حسيين. ووجه الشبه الجامع بينها هو صفة "الطول" وهو أيضاً مفرد حسي. وذكرت أداة التشبيه (الكاف) فالتشبيه مرسل، ومُجْمل لعدم ذكر وجه الشبه، والغرض من التشبيه فيها بيان مقدار المشبه.

( قلنا :3-يا رسولَ اللهِ ! وما إسراعُه في الأرضِ ؟ قال " كالغيثِ استدبرتْه الريحُ ).

يسيح الدجال في الأرض اربعين يوماً ، ليس بلدٍ إلا سيطؤه، إلا مكة والمدينة. حرّمهما الله عليه. قولهم (وما إسراعُه في الأرضِ ؟) أي كيف يغطي هذه الأرض في أربعين يوماً ؟ قال (كالغيثِ ، استدبرتْه الريحُ ) ، أصله : كالريح تثير السحاب فتنزله في مكان ثم تستدبره إلى آخر[68].

والنص يوضح صورة غريبة لسرعة الدجال في حركته وتنقله بين المناطق، فشبه إسراع الدجال في الأرض بحيث يغطي كل أماكنها ، بالغيث الذي تثير الريح سحابه فتنقله من مكان إلى آخر في لمح البصر. ووجه الشبه هو السرعة الشديدة، وهو مفرد حسي، وطرفا التشبيه :المشبه مفرد مقيد ، والمشبه به مفرد مطلق، وهما حسيان. وذكرت أداة التشبيه (الكاف) فالتشبيه مرسل، ومجمل لعدم ذكر وجه الشبه. والغرض من التشبيه بيان مقدار المشبه .

بالخ-(ويقرُّ فيقول لها : أَخرِجي كنوزَك . فتتبعُه كنوزُها "كيعاسيبِ النحلِ ")،أي: كذكور النحل ، وقيل: أي كجماعة النحل لا ذكورها خاصة ، لكنَّه كنَّى عن الجماعة باليعسوب، وهو أميرها ، لأنه متى طار تتبعه جماعته[69].

وفي هذا الوصف تشبيه الكنوز التي تتبع الدجال بيعاسيب [مجموعات] النحل في "سرعتها ولحوقها من تريد قرصه". وفي اختيار هذا التشبيه روعة تتصل بالمعنى أوثق اتصال وتحقِّ التناسق الفني . فظلال لحوق يعاسيب النحل تبعث في النفس المخاوف والحذر وتوقُّع الشر[70].

---

[68] نفس المرجع السابق،كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجّال،ج10، ص 538، 539

[69] موسى شاهين لاشين ، مرجع سابق،كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجّال،ج10، ص 539

[70] محمد لطفي الصباغ ، التصوير الفني في الحديث النبوي ، مرجع سابق، ص252

والتشبيه هنا جاء بطرفين حسيين، المشبه مفرد مطلق ، والمشبه به مقيد، ووجه الشبه المقدَّر مفرد حسي أيضاً . وقد ذُكِرت أداة التشبيه (الكاف) فالتشبيه مرسل، ومجمل لعدم ذكر وجه الشبه صراحةً . والغرض من التشبيه بيان مقدار سرعة المشبه والمبالغة فيها.

5-(ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً . فيضربه بالسيف فيقطعه جَزلتَين لرمية الغرض ثم يدعوه فيقبِلُ ويتهلَّلُ وجهُه . يضحك).

جَزْلتَين بفتح الجيم على المشهور وحكي كسرها أي: قطعتين، ومعنى رمية الغرض : أنه يجعل بين الجزلتين مقدار رميته هذا هو الظاهر المشهور . وقيل في الكلام تقديم وتأخير وتقديره فيصيبه إصابة رمية الغرض فيقطعه جزلتين.[71]

وفي قوله:(رمية الغَرَض) تشبيه بليغ ،حيث شبه ضربة السيف برمية الغَرَض أو [الهدف] ، ووجه الشبه بينهما هو السرعة وقوة الإصابة ، وهو مفرد حسي وجاء التشبيه هنا بطرفين مفردين حسيين . والغرض من التشبيه بيان مقدار ونوع الضربة.

وهذه صورة لأمر غيبي سيحصل من المسيح الدجال ، [فهو يقسم الرجل إلى نصفين ثم يدعوه فيأتي ضاحكاً وكأن شيئاً لم يحدث ] وكل ذلك ليفتن الناس ويوهمهم أنَّه يميت ويحي .. وإنها لفتنة !. وفي قوله (ممتلئاً شباباً) تعرض الشباب كأنه شيء مادي يُلمس ، ويملأ الرجل[72].

6-(فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم . فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق . بين مَهرودَتَين . واضعاً كفَّيه على أجنحة ملَكَين . "إذا طأطأ رأسه قطر . وإذا رفعه تحدَّر منه جُمانٌ كاللؤلؤ").

أما (المنارة) فتفتح الميم، وهذه المنارة موجودة اليوم شرقي دمشق . وأما (المهرودتان) فروي بالدال، والذال ، وجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين من أهل اللغة وغيرهم ،وهما ثوبان مصبوغان بورس ثم بزعفران ، وقيل : هما شقتان ، والشقة نصف الملاءة، أي:هو داخل ثوبين لابسهما . ومعنى (إذا طأطأ رأسه قطر)، أي : نزل من رأسه قطرات الماء، (وإذا رفعه تحدَّر منه جُمانٌ كاللؤلؤ) ،"الجُمان" هي حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار ، والمراد يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه كلما خفض رأسه ، وكلما رفعه[73].

التشبيه في قوله(إذا طأطأ رأسه قطر . وإذا رفعه تحدَّر منه جُمانٌ كاللؤلؤ) وهو تشبيه داخله تشبيه آخر . الأول:شبه الماء الذي يتحدَّر من رأس المسيح عيسى بن مريم عليه السلام كلما رفع رأسه وطأطأه بالجمان (الفضة) في (حسنه وصفائه). فجاء بمشبه مركب حسي ، ومشبه به مفرد حسي ، ووجه شبه مفرد حسي، والتشبيه هنا بليغ . والثاني: شبه (الجمان) الذي شُبِّهت به قطرات الماء المتساقطة من رأس المسيح عيسى عليه السلام – بـ (اللؤلؤ) في هيئته المستديرة

---

[71] موسى شاهين لاشين ، مرجع سابق كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجّال،ج10، ص 539

[72] محمد لطفي الصباغ، التصوير الفني في الحديث النبوي، مرجع سابق ، ص252

[73] موسى شاهين لاشين ، مرجع سابق كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجّال،ج10، ص 540، 541

، ولونه الأبيض اللامع الناصع وحسنه .و هذا هو وجه الشبه بينهما، وهو هيئة حسية مركبة . والمشبه هنا مفرد حسي (الجمان) ، والمشبه بهأيضاً مفرد حسي (اللؤلؤ) وقد ذُكِرت أداة التشبيه (الكاف) فالتشبيه مرسل ، ومجمل لعدم ذكر وجه الشبه . وبضم التشبيهين إلى بعضهما البعض نجدهما يكونان (هيئة حسية مركبة ، وجه الشبه فيها صورة منتزعة من متعدد). وهذا التشبيه تمثيلي، وهو غاية في الجمال والروعة ،ومن البلاغة بمكان . والغرض من التشبيه بيان حسن وجمال المشبه.

والصورة هنا تضج بالوصف والحركة والحيوية . والنسق القصصي للحديث فيه من الإثارة والتشويق ما يدفع الخيال للتحليق في سماوات الجمال، فالمسيح يهبط من فوق المنارة مرتدياً ثوبين مصبوغين ، ويكون هبوطه على هيئة خاصة تليق بمقام نبوّته ، واضعاً كفيه على أجنحة ملَكين، فتزداد الصورة غرابة ومهابة، وتكتمل روعتها بوصف الماء الذي يتحدَّر من رأسه على هيئة اللؤلؤ في صفائه كلما خفض رأسه ، وكلما رفعه.. صورة ممزوجة بالهيبة والجلال والجمال.

فيُرسِل اللهُ عليهم النَّغَفَ في رقابِهم . فيصبحون فرْسَى كموتِ نفسٍ واحدةٍ )

(النَّغَفَ ) بنون وغين معجمة مفتوحتين ، هو دود يكون في أنوف الإبل والغنم ، الواحدة : نغفة. و(فرسى) بفتح الفاء وسكون الراء ،أي :قتلى ، واحدهم فريس. والمعنى أن يأجوج ومأجوج يشربون ماء البحيرة ، ويحاصرهم عيسى وأصحابه بدون طعام ولا ماء ، فيرسل الله على يأجوج ومأجوج ميكروباً ، يصبحون به قتلى ، تملأ الأرض أجسادهم[74].

التشبيه في قوله :( فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة). شبه موت يأجوج ومأجوج بعد أن أهلكهم النغف، بميتة النفس الواحدة ، ووجه الشبه هو سرعة إهلاكهم والقضاء عليهم في لحظة واحدة حتى كأن أرواحهم جميعاً تخرج من شخص واحد من سرعة القضاء عليهم، وهو مركب عقلي، وجاء التشبيه أيضاً بطرفين مفردين عقليين، وذُكِرت أداة التشبيه (الكاف) فالتشبيه مرسل، وكذلك مجمل. والغرض من التشبيه هو بيان سرعة إهلاكهم. والصورة في هذا التشبيه مروعة، مثيرة للاشمئزاز ، فمنظرهم والدود عالق بأجسادهم يقتلهم، منظر غاية في البشاعة .

(فيرغب نبيُّ اللهِ عيسى وأصحابُه إلى اللهِ . فيرسل اللهُ طيراً كأعناقِ البُختِ ).

قوله :(فيرغب نبيُّ اللهِ عيسى وأصحابُه إلى اللهِ ) ، أي: فيلجأ عيسى وأصحابه الى الله أن ينقذهم من القذر والريح الكريهة الخارجة من أجساد قوم يأجوج ومأجوج] . (فيرسل اللهُ طيراً كأعناقِ البُختِ )،"البخت" :الإبل الخراسانية ، وهي مشهورة بطول الأعناق[75].

التشبيه في قوله :(طيراً كأعناقِ البُختِ ) "حيث شبه الطيور - التي أرسلها الله سبحانه وتعالى لتخليص الأرض من أجساد يأجوج ومأجوج المتعفنة- بالإبل الخراسانية . ووجه الشبه بينهما هو" الحجم أو الطول ، وربما في طول الأعناق " وهو مفرد حسي. والمشبه به مفرد

---

[74] نفس المرجع السابق،كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجّال،ج10، ص 541، 542

[75] فتح المنعم شرح صحيح مسلم ،كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجّال،ج10، ص542

مقيد حسي ، وقد ذُكِرت أداة التشبيه (الكاف) فالتشبيه مرسل ، ومجمل لعدم ذكر وجه الشبه ، والغرض من التشبيه بيان مقدار حال المشبه.

"وصورة الطيور الغريبة التي بعثها الله عزَّ وجلَّ لتخلِّص الناس من هاتيك الروائح ، صورة مدهشة تشد انتباه السامعين .. إنها طيور طويلة كأعناق البخت ، وإذا كان من الطبيعي أن لا يُعْرف طبيعة هذه الطيور التي سيخلقها الله ؛ لأنَّها غيبٌ من الغيب لكن عُرف البُخت التي هي نوع من الإبل معروفة ، وقد ورد ذكرها في الحديث النبوي في أكثر من موضع "[76].

(ثم يرسل اللهُ مطراً لا يَكِنُّ منه بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٌ. فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلَفَةِ .

9- قوله صلى الله عليه وسلم: (لا يَكِنُّ منه بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٌ ) أي لا يمنع من نزول الماء بيت. ( المَدَر) بفتح الميم والدال ، وهو الطين الصلب. فيغسل الأرض حتى يتركها "كالزَلَفة"): معناه كالمرآة ، .. شبهها بالمرآة في صفائها ونظافتها[77].

التشبيه في قوله : (فيغسل الأرض حتى يتركها "كالزَلَفة"): شُبِّهت الأرض بعد أن غسلها ماء المطر من نتن ياجوج ومأجوج، بالمرآة ، ووجه الشبه هو " النظافة والصفاء" ، وهو مفرد حسي. وجاء التشبيه بطرفين مفردين حسيين . وذُكِرت أداة التشبيه (الكاف) فالتشبيه مرسل. والغرض من التشبيه تحسين حال المشبه وتزيينه .

"ويُصوِّر الحديث غزارة المطر المدرار الذي ينظف الأرض من زهمهم ونتنهم بأنه لا يقي منه بيت وَبَر ولا مَدَر[الطين الصلب] . وغسل الأرض وتنظيفها من كل آثار القذارات التي خلَّفتها جثث القتلى يعبِّر عنه الحديث بأنَّ الأرض أصبحت كالمرآة"[78].

(ويبقى شرارُ الناسِ ، يتهارَجون فيها تهارُجَ الحُمُرِ ، فعليهم تقوم الساعةُ ) .

10- قوله صلى الله عليه وسلم : (يتهارَجون فيها تهارُجَ الحُمُرِ ) أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير ، ولا يكترثون لذلك : ( والهرج ) بإسكان الراء الجِماع[79].

شبه تهارج شرار الناس - الذين يبقون بعد أن يقبض الله أرواح كل المؤمنين - بتهارج الحُمر، ووجه الشبه هنا صورة حسية مركبة تعكس قِلة الوازع الديني والهمجية وعدم الإدراك والتمييز لهؤلاء، والتشبيه هنا بليغ ، وتمثيلي في نفس الوقت . والمشبه هنا مفرد حسي، والمشبه به مفرد مقيد حسي. والغرض من التشبيه تقبيح حال المشبه .

"وهذه الصورة تعرض مستوى شرار الخلق الذين يبقون بعد تلك الريح ، والذين تقوم عليهم الساعة . إنه مستوى منحط .. يصل الى مستوى الحمير ، يفعلون ما تفعل دون مبالاة أو حياء ، إنهم يتهارجون تهارج الحمر . قوم أشرار منحطُّون ، انسلخوا عن إنسانيتهم إلى طباع الحمير"[80].

---

[76] محمد لطفي الصباغ ، التصوير الفني في الحديث النبوي ، مرجع سابق، ص256

[77] موسى شاهين لاشين ، مرجع سابق، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذِكر الدجّال،ج10، ص542

[78] محمد لطفي الصباغ ، التصوير الفني في الحديث النبوي ، مرجع سابق، ص256

[79] موسى شاهين لاشين ، مرجع سابق، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذِكر الدجّال،ج10، ص543

[80] محمد لطفي الصباغ ، التصوير الفني في الحديث النبوي ، مرجع سابق، ص258

## المبحث الثاني
## صور المجاز المرسل في الأحاديث القدسية

قبل الدخول في الدراسة ينبغي التنبيه على النقاط الآتية :

***أولاً : مسألة الاختلاف في تأويل الأسماء والصفات الإلهية بالمجاز :**

الأسماء والصفات الإلهية هي التي وردت في القرآن الكريم والأحاديث النبوية والقدسية، وأثبتها الله سبحانه وتعالى لنفسه ، وأُقحمت في تأويلها بطريق المجازين مجوّز ومانع ، يقول السيوطي :

"من المتشابه آيات الصفات نحو ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ، ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ ﴿ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ . وجمهور أهل السنة - منهم السلف وأهل الحديث- على الإيمان بها ، وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى ، ولا نفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها "[80].

قال الإمام البغوي في شرح السنة:" بِهِ كَالْكَلِمَاتِ أَوِ السُّنَّةُ .. فِي صِفَاتِ اللَّهِ الْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ وَالرِّجْلِ ، وَالإِتْيَانِ ، وَالْمَجِيءِ ، وَالنُّزُولِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، وَالاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ وَنَحْوِهَا الْمَذْكُورَةِ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ. لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَرَدَ بِهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَهُوَ يَعْجِبُ ظَاهِرُهَا الإِيمَانُ بِهَا مُعْرِضًا فِيهَا عَنِ التَّأْوِيلِ ، مُجْتَنِبًا عَنِ التَّشْبِيهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ سَبِيلَ هَذِهِ الآيَاتِ عِنْدَ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ سَبِيلُ صِفَاتِ الْخَلْقِ ، كَمَا لاَ تُشْبِهُ ذَاتُهُ ذَوَاتِ الْخَلْقِ ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ "[80].

غير أن كثيراً من المفسرين أمثال القرطبي و الطبري ، والألوسي وغيرهم ، عملوا على مذهب التأويل في تفسيرهم لبعض آيات الصفات ولم يجدوا حرجاً في ذلك .

ونسبة لاختلاف العلماء في قضية التأويل هذه ، ترى الباحثة عدم التعرض للأحاديث القدسية التي تشتمل على الأسماء والصفات الإلهية،تجنباً للوقوع في الشبهات ، والله أعلم بمراده من ذكرها .

*** ثانياً : ستقصر الدراسة في هذا البحث على المجاز اللغوي بقسميه المرسل والاستعارة ، دون التطرق للمجاز العقلي للأسباب الآتية :**

1- إن كثيراً من علماء البلاغة عدَّه ضمن مباحث علم المعاني - كما فعل عبد القاهر الجرجاني والقزويني لأنه قسمٌ من الإسناد ، والإسناد وما يتصل به من مباحث علم المعاني.

2- إن " نظرة البلاغيين في المجاز العقلي لم تكن نظرة فنية تذوقية ، بل كانت نظرة عقلية جامدة أصبح معها هذا المبحث أقرب إلى ميدان الفلسفة أو علم الكلام منه إلى ميدان البحث العقلي...لأن الفكرة التي كانت تسيطر على أذهان البلاغيين في تناولهم لأمثلة المجاز العقلي هي فكرة البحث عن الفاعل الحقيقي [على سبيل المثال]الذي يعد إسناد الفعل إليه حقيقة، وا ٍسناده إلى ما سواه مجازاً ،...وفي إطار تلك النظرة العقلانية اقتصر تناول البلاغيين لأمثلة المجاز العقلي على مجرد بيان العلاقة والإشارة إلى الفاعل الحقيقي فحسب"[80].

3- بالإضافة الى كل ذلك يرى الباحث غياب أو قصور الصورة الفنية والجمالية والخيالية - في معظم أمثلة المجاز العقلي - والتي تعتبر من أهم المرتكزات التي يقوم عليها علم البيان.

*** ثالثاً : سيتم التطبيق على المجاز بالاستعارة، في الأحاديث القدسية في مبحث منفرد ، وذلك لتشعبها وكثرة أقسامها .**

نماذج المجاز المرسل في الأحاديث القدسية وعلاقاته:

أولاً : السببية

1) لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى مكة، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر في السير إليهم. ثم أعطاه امرأة وجعل لها جعُ ْلاً على أن تبلغه قريشاً ، فجعلته في رأسها، ثم فتلت عليه قرونها، ثم خرجت به. وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب، فأمر باحضار الكتاب، وجيئ بحاطب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له عليه الصلاة والسلام : ( "ما حملك يا حاطب على ما صنعت ؟" قال : ما بي إلا أن أكون مؤمناً بالله ورسوله، وما غيرت ولا بدلت، أردت أن تكون لي عِند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس من أصحابك هناك إلا وله من يدفع الله به عن أهله وماله، قال : "صدق، فلا تقولوا له إلا خيراً .." )[80].

في قول الرجل(أردت أن تكون لي عِند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي) مجاز مرسل علاقته السببية ، حيث ذكر السبب "اليد " وأراد المسبب " وهو "الفضل والمِنَّة والجميل" فالرجل لم يكن من قريش ، بل كان من حلفائها فقط ، ففعل هذا الجميل بقريش ليكونوا له ظهراً

يحمي بهم أهله وقرابته. ويظهر من خلال الحديث حكمة النبي صلى الله عليه وسلم البالغة في تقدير الأمور وفهمها ، وعدّم التسرع في إصدار أي حكم على شخص يأتي بذنب أو جريرة دون نأ يسأله ويتحرى عن أسبابه، وكان هذا منهجاً متبعاً له في كل ما يخص هذا الشأن . وهذا إن دلّ على شيء فإنَّما يدل على حكمته وسمو إنسانيته ورحمته بالناس .

2) عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة ، دفع الله إلى كل مسلمٍ يهوديًّا أو نصرانيًّا . فيقول هذا فداكَ من النَّار )[80].

معنى (الفِكَاك ) بفتح الفاء وكسرها و الفتح أفصح وأشهر ، وهو : الخلاص والفداء . ومعنى هذا الحديث ما جاء في حديث أبي هريرة ( لكل أحد منزل في الجنة ومنزل في النار)، فالمؤمن إذا دخل الجنة خلفه الكافر في النار لاستحقاقه ذلك بكفره .ومعنى ( فكاكُك من النار) أنك كنت معرضاً لدخول النار ، وهذا فكاكُك ، لأن الله تعالى قدَّر لها عدداً يملؤها ، فإذا دخلها الكفار بكفرهم وذنوبهم صاروا في معنى الفِكَاك للمسلمين[80].

في الحديث تصوير صورة شخص مسلم حُكِم عليه بدخول النار نتيجة لذنوب ارتكبها في الدنيا فأوجبت عليه عذاب النار في الآخرة ، لكن سرعان ما يحنو عليه المولى عز وجل ويرحمه برحمته الواسعة ويدخله الجنة ، فإذا دخلها خلفه الكافر في النار لاستحقاقه ذلك بكفره وإعراضه عن الحق، فصار "الكافر أو اليهودي أو النصراني بذلك في معنى الفِكَاك للمسلم. أي أن الكافر صار بمنزلة الفدية التي تُدفع لفك وتحرير المسلم من العذاب ودخول النار. ومن هذا المعنى يستطاع لمح علاقة السببية في المجاز المذكور في الحديث في قوله (هذا فكاكك من النار) فكأن اليهودي أو النصراني السبب في تخليص المسلم من النار بدخوله فيها، وشغله لمقعده الذي كان معداً له فيها قبل أن تداركه رحمة الله بإدخاله الجنة. وفي هذا فضل كبير من الله سبحانه وتعالى على أمة النبي صلى الله عليه وسلم .

3) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله الجنة قال لجبريل : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال: أي رب وعزتك لا يسمع بها أحدٌ إلا دخلها ، ثم حفَّها بالمكاره ، ثم قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، ثم جاء فقال: أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد ، فلما خلق الله النار قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، ثم جاء فقال: أي رب وعزتك لا يسمع بها أحدٌ فيدخلُها ، فحفَّها بالشهوات ثم قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ، ثم جاء فقال: أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحدٌ إلا دخلها)[80].

والجنة كما صورها الحديث ، لو عرفها الناس على حقيقتها لدخلوها ولما ترك سبيلها أحد . ولكان دخلها في هذه الحالة من يستحقها ومن لا يستحقها . فأقام في طريقها المكاره حتى لا

يدخلها إلا من هو أهل لها . والنار شيء مخيف تنفر منه النفس وتأباه ، فلو عرفها الناس على حقيقتها لكان من الممكن أن يتحاماها كل الناس، حتى أولئك الذين يستحقونها . ولذلك وضع ربنا عز وجل حولها الشهوات المحرمة ليختبر من تكون إرادته موافقة لشرع الله فيأبى المعاصي ولو كانت تدفعه إليها شهوته .

الصورة هنا متمثلة في المكاره تحف بالجنة من كل جانب فكأنها جدار أو سور ، والشهوات كذلك تحف بالنار من كل جانب . ووضع الصورتين أحداهما إلى جانب الأخرى يزيد في وضوح الصورة بالنسبة لكل منهما[80].

إذن في الجملتين مجاز مرسل علاقته السببية، لأن فعل المكاره والصبر عليها هو السبب في الوصول إلى الجنة ، واتباع الشهوات والإذعان لها هو السبب في الوصول إلى النار.

والتعبير بالمجاز في وصف صورتي الجنة والنار واحاطتهما بالمكاره والشهوات ، يعد من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم. وفي الحديث أمر بالابتعاد عن الشهوات؛ لأنها الطريق إلى النار . والصبر على المكاره ؛ لأنها الطريق إلى الجنة .

ثانياً: المسببية

(عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى قال : "من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب )[80].

(من عادى) : أي : واحدا من أولياء الله تعالى (وليًا) : أي : أحدا من أولياء الله تعالى فعيل بمعنى مفعول ، (من تولى الله فأهل أن يوكله إلى نفسه لحظة قال الله تعالى: (يتولى الصالحين) [80] ، (وهو المواظب على الطاعات المجتنب عن السيئات المتبتل إليه بالكلية المعرض عن الانهماك في اللذات الدنيوية ، .. (فقد آذنته) : أي أعلمته بمحاربتي إياه لأجل وليي، (بالحرب) أي بمحاربتي أي بمعاداتي: فكأنه محارب لي، (من الله ورسوله) [80]، على ما في هاتين الكلمتين من عظم الخطر ، إذ المخاصرة لله للعبد تدل على سوء خاتمته ،حلأا رب الله لا يفلح أبدا[80].

المجاز في قوله (فقد آذنته بالحرب) وهو مجاز مرسل علاقته المسببية ، حيث ذكر هنا المسبب (الإيذان بالحرب من الله تعالى ) ، وأراد السبب وهو (معاداة أولياء الله) . فالذي يعادي أولياء الله الذين أصبحوا من شدة إيمانهم وورعهم وحبهم لله تعالى أصفياء له ، يحبهم ويجتبيهم ويتولاهم ، ويدافع عنهم ، ويغضب على من يعاديهم أو يؤذيهم . فكان غضب الله تعالى والإيذان بالحرب منه ناتجاً مسبباً عن معاداة وإيذاء أولئك الناس لأوليائه. وفي الحديث تحذير شديد ووعيد من معاداة أولياء الله .

2) جاء في قصة المسيح الدجال: (يا رسول الله ! وما إسراعه في الأرض ؟ قال: كالغيث استدبرته الريح ) [80].

المجاز في قوله كالغيث استدبرته الريح ) ، والريح لا تستدبر الغيث ، وإنما تستدبر وتثير السحاب الذي ينزل الغيث. فذكر الغيث "المطر" (المسبَّب)، وأراد السبب "السحاب" فعلاقة المجاز المسببية. وفي هذا المجاز تصوير رائع لسرعة تَنَقُّل المسيح الدجّال في أنحاء الأرض، بتمثيلها بحركة السحاب الذي تثيره الرياح فيسقط منه الغيث من مكان لآخر حسب توجه الريح وشدة هبوبها، وهذه الصورة الحسية المعروفة، المشاهدة لدى الجميع تتيح للذهن حرية تخيُّل "سرعة الدجّال" كيفما يشاء .

ثالثاً :الجزئية

1) عن أبي أُمامة الباهلي قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: (يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى) [80].

قوله صلى الله عليه وسلم( : يا ابن آدم إنك أن تبذل الفضل خير لك ، وأن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف .. ومعناه : إن بذلت الفاضل عن حاجتك وحاجة عيالك فهو خير لك لبقاء ثوابه ، وإن أمسكته فهوشر لك ؛ لأنه إن أمسك عن الواجب استحق العقاب عليه ، وإن أمسك عن المندوب فقد نقص ثوابه ، وفوت مصلحة نفسه في آخرته ، و هذا كله شر . ومعنى ( لا تلام على كفاف ) : أن قدر الحاجة لا لوم على صاحبه . ومعنى ( ابدأ بمن تعول ) : أن العيال والقرابة أحق من الأجانب[80]. وقيل اليد العليا هي المنفقة ، والسفلى هي السائلة . وقيل اليد العليا الآخذة ، والسفلى المانعة . والله أعلم. والمراد بالعلو علو الفضل، والمجد، ونيل الثواب[80].

والحديث يسلك مسلك التصوير لحال المعطي والآخذفيصور يداً ممتدة للسؤال، ذليلة، ضارعة، منتظرة، نازلة ، محتشمة، وهي (اليد السفلى) ، ويداً ذاهية بالعطاء ، عزيزة، عاذرة مرضية ، عالية منشرحة ، وهي (اليد العليا ) . وليس المقود بالحديث (اليد) في حد ذاتها ،

وإنما المقصود (صاحب اليد)، وجعل شخصين في منزلتين ، عليا وسفلى ، وفضّل الأولى على الثانية في الخير ، وقد أُثْير التعبير باليد لأن الأخذ والعطاء آلتهما اليد.

وعلى ذلك يكون المجاز في كلمة (اليد)وهي الجزء ، وإرادة صاحبها وهو ( الكل)، فالعلاقة بينهما الجزئية.ومع أن العبارة موجزة إلا أنها صوّرت الحالة الموصوفة بصورة تنفر السائل من أن يسأل فيكون الأسفل[5] . كما توجد مقابلة لطيفة في قوله :"إن لك خيراً ، وإن لك شراً" ، و"العليا والسفلى". هذه المقابلة التي جاءت في سياق الشرط، زادت المعنى وضوحاً وبياناً ، فكأنما وضع لك على كفتين ، وأنت تفكر وتفاضل وتختار بينهما مستصحباً في ذلك بصرك وبصيرتك . وفي الحديث دعوة صريحة للصدقة والإنفاق ، وترك البخل وسؤال الناس .

2) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ينادي الله رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة)[5].

في قوله (على رؤوس الخلائق يوم القيامة) مجاز مرسل علاقته الجزئية . حيث ذكر (الرؤوس)، والرأس هو جزء من أجزاء الجسم ، وأراد الكل وهم (الخلائق) ، أي كل الخلائق .

والصورة الغيبية في الحديث تعكس منظراً عظيماً ، يقف فيه الناس أمام الله سبحانه وتعالى يوم القيامة للحساب ، فيختار منهم رجلاً ليقيم عليه الحساب ، وينشر سجله بما فيه من حسنات وسيئات، وتوزن أعماله بالميزان ليظهر انتفاء الظلم وظهور العدل وتحقق الفضل ، وكل هذا أمام هذا الحشد العظيم من الناس ، وعلى مرئى منهم ومسمع، ليكون الجميع على بينة وعلم بأن الله لا يظلم أحداً ( فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره )[5].

3) أخرج الترمذي عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (عن ربك عز وجل أنه قال : ابن آدم ! اركع لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره)[5].

قوله تعالى : (ابن آدم !اركع) ، أي : صل (لي) ، أي : خالصاً لوجهي (أربع ركعات من أول النهار) قيل: المراد صلاة الضحى ، وقيل : صلاة الإشراق ، وقيل: سنة الصبح وفرضه، لأنه أول فرض النهار الشرعي (أكفك) ، أي : مهماتك (آخره) ، أي : إلى آخر النهار ، قال الطيبي : أكفك آخره ، أي : أكفك ما يشغلك ويحوجك ، وأدفع عنك ما تكرهه بعد صلاتك إلى آخر النهار، عن ابن الملك : في أوله بالغنائم وفي آخره بقضاء حوائجك )[5].

المجاز في قوله:(اركع لي أربع ركعات ) مجاز مرسل علاقته الجزئية ، حيث ذُكر الركوع وهو ركن من أركان الصلاة ، وجزء منها ، والمراد الكل وهو "الصلاة" ، فالعلاقة هنا جزئية. والصورة بالمجاز قائمة على الترغيب في الصلاة في هذا الوقت لفضلها المذكور. وفي قوله:

ار ْكَعأَر"، وَ"عَ "جناس لطيف ، وكان لتكرار حرف العين، والكاف ،والراء، في نصالحديث توازنٌ صوتيٌ مقبولٌ في النفس . كما أن عبارة المجاز الموجزة في قوله تعالى: (اركع لي)؛ تعكس صورة أخرى ،عاطفية ، تصوِّر مدى حب واهتمام الله سبحانه وتعالى بعباده المسلمين ، فهو يحثّهم على الأخذ بالأسباب التي تضمن لهم سُبل النجاة في الدنيا والآخرة ، والفوز برضاه ورحمته وغفرانه .

وفي الحديث ترغيب في أداء هذه الصلاة والمحافظة عليها.

رابعاً : الكلية

1) قوله صلى الله عليه وسلم في ذكر قصة المسيح الدجال: (ثم يأتي الرجلُ بالخَربةِ فيقول لها : أَخرِجي كنوزَك . فتتبعُه كنوزُها كيعاسيبِ النحلِ )[5] .أي كذكور النحل.

في قوله: (فتتبعُه كنوزُها كيعاسيبِ النحلِ " ) مجاز مرسل علاقته الكلية . حيث ذكر الجزء وهم اليعاسيب "ذكور النحل" ، وأراد الكل " أي "كل النحل ، ذكوره وإناثه" . وصورة الكنوز وهي تتبع المسيح الدجّال مثل مجموعات النحل ، صورة طريفة لمنظر غيبي سيحدث آخر الزمان.

وبما أن الصورة في هذا المجاز لمنظر غيبي لم يحدث بعد ، فقد يحتمل المجاز علاقة أخرى ، وهي اعتبار ما يكون ، لأن هذا الحدث سيكون في آخر الزمان .

خامساً : اعتبار ما كان

أبي) عمران قال: سَمِعْتُ أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم (يقول اللهُ تعالى لأهونِ أهلِ النَّارِ عذاباً يومَ القيامةِ : لو أنَّ لك ما في الأرضِ من شيءٍ أكنتَ تفتدي به ؟ فيقولُ : نعم ، فيقولُ : أردتُ منك أهونَ من هذا ، وأنت في صلبِ آدمَ : ألاَّ تُشرِكَ بي شيئاً ، فأبيتَ إلاَّ أن تُشرِكَ بي)[5].

أردتُ منك أهونَ من هذا ، وأنت في صلبِ آدمَ : ألاَّ تُشرِكَ بي شيئًا ، فأبيتَ إلاَّ أن تُشرِكَ إلى قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ )[5]. فهذا الميثاق الذي أُخِذَ عليهم في صُلبِ آدم فمن وفَّى به بعْد وجوده في الدنيا فهو مؤمن، ومن لم يوف به فهو الكافر، فمراد الحديث أردت منك حين أخذت الميثاق فأبيت إذ أخرجتك إلى الدنيا إلا الشرك. ويحتمل أن يكون المراد بالإرادة هنا الطلب والمعنى أمرتك فلم تفعل لأنه سبحانه وتعالى لا يكون في ملكه إلا ما يريد[5].

في قوله: (وأنت في صلبِ آدمَ ) مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان . أي عندما أخذ الله سبحانه وتعالى منكم ميثاقاً بعدم الشرك به ، وأقررتم له بذلك ، وكنتم حينها في أصلاب آبائكم..، وهذا أمر حدث بالفعل ، وجاء ذكره في القرآن الكريم كما في الآية السابقة الذكر ، وورد أيضاً في عدد من الأحاديث القدسية، ويُسمى هذا الميثاق بميثاق الذَّر.

والصورة في هذا المجاز قائمة على الحوار والتقرير والتذكير بميثاق قديم أخذه الله سبحانه وتعالى عليهم، وهو ألا يشركوا به شيئاً ، فلم يفوا بذلك ، فأوجب عليهم النار. ويظهر في الصورة أيضاً عدل الله سبحانه وتعالى في حسابه لهم بإقامة الدليل والحجة وتذكيرهم بما نسوا.

سادساً : اعتبار ما يكون

1) عن أبي الدرداء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (قال الله لآدم حين خلقه ضرب كتفه اليمنى ، فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر ، وضرب كتفه اليسرى ، فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم ، فقال للذي في يمينه : إلى الجنة ولا أبالي ، وقال للذي في كتفه اليسرى، إلى النار ولا أبالي)[5].

المجاز في قوله :(قال للذي في يمينه إلى الجنة ولا أبالي ، وقال للذي في كتفه اليسرى ، إلى النار ولا أبالي) وهو مجاز مرسل علاقته باعتبار ما يكون ، سواء من أهل الجنة أو أهل النار.

ونص الحديث اشتمل على تقابل واضح بين الجمل ، أضفى على الصورة وضوحاً تاماً ، وترتيباً رائعاً في نسق الحديث .

2) عن أبي موسى الأشعري ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ( إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون : نعم . فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون : نعم . فيقول ماذا قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع، فيقول الله : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد )[5].

(ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه: بيت الحمد ) أضاف البيت إلى الحمد الذي قاله عند المصيبة ؛ لأنه جزاء ذلك الحمد[5].

المجاز قي قوله تعالى: (ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة ) وهو مجاز مرسل علاقته باعتبار ما يكون . فالصابر على موت ابنه سيكافئه الله تعالى جزاء صبره واحتسابه ورضائه بأن يبنى له بيتاً في الجنة ، بل وسيكون اسمه بيت الحمد تعظيماً لهذه الصفة التي لا ينالها في هذا المقام (مقام فقد الابن) إلا من ثبت إيمانه ويقينه بالله تعالى بأنه هو المعطي وهو الآخذ ، وكل من في السموات والأرض ملك له ، وتحت تصرفه وسيطرته .

3) عن عبد الله بن أوس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (يحشر الناس يوم القيامة ، أو قال العباد ، عراة غرلا .[5]قال: قلنا : وما بهما ؟ قال : ليس معهم شيء ، ثم ينادي بصوت يسمعه من قرب كما يسمعه من بعد ، أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه ، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد

من أهل هذا الخلق حتَّى أقُصَّه منه حتَّى اللَّطمةَ . قال: قلنا: كيف وإنَّا إنَّما نأتي اللهَ عزَّ وجلَّ عُراةً غُرْلاً بُهماً؟ قال : بالحَسَناتِ والسَّيِّئات[5].

وفيه مجاز مرسل علاقته باعتبار ما يكون . وهذا الموقف يُصوِّر الحالة التي سيأتي عليها الناس يوم القيامة عراة ، كما ولدتهم أمهاتهم ، لا ينقص من أجسادهم شيئاً ، ولا يملكون شيئاً . وهذا أمر غيبي لم يحدث ، وإنما سيكون حدوثه حين قيام الساعة ، فيجب على المؤمن أن يحرص على براءة ذمته من حقوق الآخرين وأن يتحلل منهم قبل يوم القيامة الذي يقف فيه العباد أمام ربهم للحساب حيث لا درهم، ولا دينار ، وإنما الحسنات والسيئات، والعدل والقسطاس .

4) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (آمُرُكم بخمسٍ ، اللهُ أمرني بهنَّ السمعُ ، والطاعةُ ، والجهادُ ، والهجرةُ ، والجماعةُ ، فإنه من فارق الجماعةَ قيدَ شبرٍ ، فقد خلع ربقةَ الإسلامِ من عُنُقِهِ إلا أن يراجِعَ ، ومن ادَّعى دعوى الجاهليةِ ، فإنه من جَثَا جَهنَّمَ فقال رجلٌ يا رسولَ اللهِ : وإن صلَّى و صام ؟ فقال : و إن صلَّى و صام ، فادعوا بدعوى اللهِ التي سماكم المسلمين المؤمنين ، عبادَ اللهِ )[5].

قوله (دعوى الجاهليةِ ) تُفسر بسننها على الإطلاق ; لأنها تدعو إليها(من جُثى جهنم) بضم الجيم مقصوراً ؛ أي من جماعتها ، جمع جثوة ، بالحركات الثلاث ، وهي الحجارة المجموعة، وروي من جُثِيِّ ، بتشديد الياء ، وضم الجيم ، جمع جاث ، من جَثَا على ركبتيه يجثو ويجثي، وكسر الجيم جائز لما بعدها من الكسرة ، وقريء بهما في قوله تعالى: (الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا)[5] ( وإن صلى وصام) أي ولو صلى وصام[5].

المجاز في قوله: (فإنه من جَثَا جهنَّمَ ) وعلاقته باعتبار ما يكون ، فمن خالف ما جاء به الإسلام واتبع سنة الجاهليين سيكون جزاؤه النار يوم القيامة حتى لو صام وصلى وزعم أنه من المسلمين . والصورة قائمة على التهديد والوعيد الشديد لمن يفارق جماعة المسلمين ويتبع منهاج وسنة الجاهليين فسوف يكون مصيره إلى النار وسيوضع فيها بهذه الهيئة المذكورة "هيئته وهو جاثٍ على ركبتيه" والله أعلم . والصورة منفِّرة للغاية .

سابعاً : المحليَّة

1) عن محمد بن جُبير بن مُطْعِم ، عن أبيه ؛ أنَّ رجلاً أتَى النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقال يا رسولَ اللهِ: أيُّ البُلْدانِ شرٌّ؟ فقال لا أدْري، فلمَّا أتَاهُ جبريلُ عليه السلام قال يا جبريلُ أيُّ البُلْدانِ شرٌّ ؟ قال لا أدري حتَّى أسأل، فانطلقَ جبريلُ عليه السلام ثم مكَثَ ما شاءَ اللهُ أنْ يمكُثَ ، ثم جاءَ فقالَ: يا محمدُ إنكَ سألْتَني أيُّ البُلْدانِ شرٌّ فقلْتُ : لا أدري وإني سألتُ ربي عزَّ وجلَّ أيُّ البُلْدانِ شرٌّ فقال أسْواقُها)[5].

في قوله أي: (للبلدان شر) مجاز ، فالبلدان لا تكون شراً ، وإنما الشر في سكانها ، وهم الناس، وهنا ذكر المحل "البلدان" وأراد الحال فيها وهم "الناس" فالمجاز مرسل علاقته المحلية.

ويُنْسب الشرُّ إلى الأسواق لأنها مجتمع يتزاحم فيه الناس لِما فيها من حركة البيع والشراء ، ويقصدها الناس على اختلاف عاداتهم وأجناسهم وأخلاقهم وأديانهم ، وهي في كثير من الأحيان مكان للغفلة والمعصية حتى أن الشيطان ينصب راياته فيها ، وقد تحدث فيها كثير من الأمور التي تخرج عن حدود الأدب والفضيلة .

وإنما سأل الله ربي عز وجل أي البلدان شر أسواقها )، قال النووي: "لأنها محل الغش والخداع والربا والأيمان الكاذبة وإخلاف الوعد والإعراض عن ذكر الله وغير ذلك مما في معناه"[5].

وكلمة "أسواقها" مع إيجازها إلا أنها تستوعب بداخلها أنواعاً كثيرة للشرور التي تنتشر في الأسواق، لا سيما في هذا الزمان الذي ضاعت فيه الهوية الإسلامية بين مستحدثات الأمور.

2)عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (قرصت من الأنبياء نملةٌ نبيًّا فأمر بقرية النمل فأُحرِقت، فأوحى الله إليه: أن قرصتك نملةٌ أحرَقتَ أُمةً من الأُممِ تُسَبِّح[5].

المراد من قرية النمل مساكنها وموضع اجتماعها... [يقال] لمسكن النمل قرية... وقوله: أن قرصتك نملةٌ [أحرَقتَ أُمةً من الأُممِ تُسَبِّح؟]. الكلام على الاستفهام الإنكاري التوبيخي أي: "ماكان ينبغي ذلك" .. وفي وصف الأمة بالتسبيح زيادة في التوبيخ[5].

في قوله: (قرية النمل فأُحرِقت)، مجاز مرسل علاقته المحلية حيث ذكر المحل (قرية النمل) وأراد الحال بها وهم مجموعة النمل.

وبالإضافة للأمر بقتل النملة "أحرَقتَ أُمةً من الأُممِ تُسَبِّح" ، من توبيخ وإنكار، اشتملت أيضاً على صورة عاطفية تبعث على التندّم والتحسُّر لحدوث هذا الفعل "حرق النمل"، وفي قوله (تُسَبِّح) المضارع الدال على استمرارية الفعل ، يزيد من التدفق العاطفي في الصورة؛ لأن هذه الأمة التي أُحرِقَت كانت مؤمنة تسبح الله تعالى وتعبده قال تعالى: (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)[5]. فالصورة التي اشتمل عليها الحديث تزخر بالحياة والعاطفة. ويظهر من الحديث النهي عن قتل الحشرات ؛ لأنها تسبح الله عز وجل ، إلا الضار والمؤذي منها . وفيه أيضاً التحذير من الغضب .

3) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنّ الله ، إذا أحبّ عبداً ، دعا جبريل فقال : إنّي أحبّ فلاناً فأحبّه . قال فيحبّه جبريل ، ثمّ ينادي في السّماء فيقول : إنّ الله يحبّ فلاناً فأحبّوه . فيحبّه أهل السّماء . قال ثمّ يوضع له القبول في الأرض . وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فقال : إنّي أبغض فلاناً فأبغضه . قال فيبغضه جبريل ، ثمّ ينادي في أهل السّماء إنّ الله يبغض فلاناً فأبغضوه . قال فيبغضونه . ثمّ توضع له البغضاء في الأرض[5].

قال العلماء : محبة الله تعالى لعبده هي إرادته الخير له، وهدايته ، وإنعامه عليه ورحمته، وبغضه إرادة عقابه أو شقاوته ونحوه ، وحب جبريل والملائكة يحتمل وجهين : أحدهما استغفارهم له ، وثناؤهم عليه ، ودعاؤهم . والثاني أن محبتهم على ظاهرها المعروف من المخلوقين ، وهو ميل القلب إليه واشتياقه إلى لقائه . وسبب حبهم إياه كونه مطيعاً لله تعالى، محبوباً له . ومعنى (يوضع له القبول في الأرض) أي الحب في قلوب الناس ، ورضاهم عنه ، فتميل إليه القلوب ، وترضى عنه[5].

في (يوضع له القبول في الأرض ) وقوله (توضع له البغضاء في الأرض ) مجاز ان مرسلان ، لأن المحبة لا توضع في الأرض ، وإنما توضع في أهل الأرض، أي سكانها ، وكذلك البغضاء، وقد ذكر المحل (الأرض) وأراد الحال فيها وهم أهل الأرض ، فالعلاقة المحلية .

والصورة في هذين المجازين بها تجسيم لمعنى "القبول" وأيضاً "البغضاء" ، إذ صارا كالشيء المحسوس الذي يمكن حمله ووضعه. وفي الحديث دليل على أنّ محبة قلوب الناس علامةُ محبة الله .

ثامناً : الآليـــة

(1) وعن عبادة بن الصامت قال : سمعت رسول الله صلّى اللّه عليه وسلّم يقول : ( إنّ أوّل ما خلق اللّه القلم فقال له : اكتب ، قال : ما أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كلّ شيء حتّى تقوم السّاعة )[5].

إنّ أوّل ما خلق اللّه القلم ) ، قيل : يعني بعد العرش والماء والريح ، وقوله ( كلّ شيء حتّى تقوم السّاعة ) .. [وفي رواية أخرى] :(قال أكتب القدر) أي: القدر المقضي . وقيل: فكتب ماكان وما هو كائن[5].

إنّ أوّل المجاز في قوله: (اللّه القلم فقال له : اكتب ) وهو مجاز مرسل علاقته الآلية؛ لأن القلم هو آلة الكتابة .

وهنا تشخيص جميل للقلم ، بأن أضفى عليه صفات الإنسان ، فهو يستمع ويفهم وينفذ أوامر ربه سبحانه وتعالى بأن يكتب القدر المقضي على كل الخلائق، ماكان منه وماسيكون ، إلى يوم القيامة .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِنَّ اللهَ عز وجل يَقُولُ: أَنَا مَعَ عَبْدِي إِذَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ)[5].

بِالإِعَانَةِ وَالتَّوْفِيقِ (وَالرَّجْعِيَّةُ) وَالرِّعَايَةِ، وَقِيلَ الْمَعِيَّةُ كِنَايَةٌ عَنِ الشَّرَفِ وَالْمَنْزِلَةِ (إِذَا ذَكَرَنِي): وَأَيْ تَحَرَّكَتْ لِأَجْلِي (بِذِكْرِي (شَفَتَاهُ): قَالَ الطِّيبِيُّ: مَا لَيْسَ وَفِيهِ وَمِنْهُ: الْإِذَا بِذِكْرِي بِاللِّسَانِ، هَذَا إِذَا كَانَ الْوَاوُ لِلْحَالِ، وَإِذَا كَانَ لِلْعَطْفِ فَالتَّحْرِيكُ بِالْقَلْبِ وَمِنْهُ بِالتَّأْوِيلِ أَوْ لِأَنَّ الْمُؤَثِّرَ النَّافِعَ هُوَ الذِّكْرُ الْقَلْبِ، وَأَمَّا الذِّكْرُ بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبُ لَاهٍ فَهُوَ قَلِيلُ الْجَدْوَى)[5].

المجاز في قوله (تَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ) ، مجاز مرسل علاقته الآلية ، لأن الشفتين آلتا الكلام وعضوان من أعضاء النطق في الإنسان.

وجاء التعبير بالمضارع في كلمة (تحرّكت) لتدل على المداومة والاستمرارية في عملية الذكر ، وحركة الشفتين صورة معبرة جداً ومترجمة لذكر القلب . وفي الحديث بيان أهمية الذكر وفضله ، وأن الله يكون دائماً في معية الذاكرين له .

والمتتبع للمجاز المرسل في الأحاديث القدسية يجد أن ألفاظه اُختيرت بعناية فائقة لتنصب في قالب المعنى المراد، ومن بين هذه الألفاظ تبرز الصورة الفنية التي تساند المعنى وتقويه وتزيده إيضاحاً. هذا فضلاً عن الايجاز الذي يعتبر السمة العامة التي تتشكل منها علاقات المجاز المرسل.

## المبحث الثالث

## صور الاستعارة في الأحاديث القدسية

أولاً : نماذج الاستعارة التصريحية في الأحاديث القدسية :

(1) ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها. وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها . وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض . وسألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة . وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم . فيستبيح بيضتهم . وإني قال : يا محمد ! إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد . وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة. وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم . يستبيح بيضتهم . ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ، ويسبي بعضهم بعضا)[5].

قوله صلى الله عليه وسلم " إن الله زوى لي الأرض" أي: جمع لي . وقيل المراد بالكنزين الذهب والفضة، وقيل المراد كنزي كسرى وقيصر ملكي العراق والشام، وفيه إشارة إلى أن ملك هذه الأمة يكون معظم امتداده في جهتي المشرق والمغرب. وقوله صلى الله عليه وسلم: "فيستبيح بيضتهم" أي: جماعتهم وأصلهم، والبيضة أيضاً العز والملك. وقوله سبحانه وتعالى: (وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ). أي: أهلكهم بقحط يعم هم، بل إن وقع قحط فيكون في ناحية يسيرة بالنسبة إلى باقي بلاد الإسلام"[5].

الاستعارة في قوله صلى الله عليه وسلم : (يستبيح بيضتهم) . قال الشريف الرضي*: "المراد بالبيضة هنا مجتمع أمته عليه الصلاة والسلام ، وموضع سلطانهم ، ومستقر دعوتهم. وقد شبه ذلك بالبيضة لاجتماعها وتلاحق أجزائها، واستناد ظاهرها إلى باطنها ، وامتناع باطنها بظاهرها"[5].

وتكون الاستعارة على هذا النحو: شبَّه مجتمع المسلمين وعزهم وسلطانهم المنيع بالبيضة،(بجامع الاجتماع والتوحد في كل )، ثم استعار اللفظ الدال على المشبه به (البيضة) للمشبه (اجتماع المسلمين) على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية . والقرينة "استباح". وقد ذكر مع الاستعارة ما يلائم المستعار له ، وهو كلمة (استباح) لذلك فهي مجردة .

وجاءت كلمة "استباح" معبرة تعبيراً دقيقاً لمعنى الحديث ، وفيها من التناسب في المعنى ما يدل على عبقرية النبي صلى الله عليه وسلم في ربطه بين المعاني العقلية والحسية، فالاستباحة هي جعل كل شيء مباح وإن لم يكن كذلك ، فربط صلى الله عليه وسلم بين معنى استباحة البيضة أي الاستيلاء عليها بدون وجه حق ، وأخذ ما بداخلها أو سكبه ، وبين استباحة مجتمع

المسلمين وعزهم وسلطانهم ، وهنا لطيفة أخرى للاستعارة ، وهي أن البيضة محاطة بغلاف رقيق سهل الكسر ، إذا انكسرت انبعج ما بداخلها وتدفق . كذلك المسلمون ، إذا لم يحافظوا على دينهم ووحدتهم ومجدهم وسلطانهم ، سينكسرون لا محالة ، وتتفرق كلمتهم ووحدتهم وينهار كيانهم كانكسار البيضة ، وحينها يصعب تلاحم اجزائهم ولملمة أطرافهم مرة أخرى.

وفي الحديث نبوءات عظيمة للنبي صلى الله عليه وسلم ، بعضها حسن ، كاتساع الدولة الإسلامية شرقاً وغرباً ، وبعضها سيء ومخيف، كظهور الفتن وانشقاق المسلمين فيما بينهم فيتربص بهم العدو الدوائر ، وفيه أنه صلى الله عليه وسلم دعا لأمته خوفاً من هذه الفتن التي قد تعصف بهم ، وقد استجاب الله تعالى له وقضى قضاءً لا يُرد بأن ينجي أمته منها. وقد ورد الحديث بروايات أخرى طويلة .

(2) عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أنَّهُ عَادَ مريضاً ومَعَهُ أبو هريرةَ من وَعْكٍ كان بِهِ ، فقال له رسول صلى الله عليه وسلم : ( أَبْشِرْ ، إنَّ اللهَ عَزَّ وجلَّ يَقُولُ هِيَ نَارِي أُسَلِّطُهَا عَلَى عَبْدِي الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا لِتَكُونَ حَظَّهُ مِنَ النَّارِ فِي الآخِرَةِ )[5].

معنى قوله ( ناري أسلطها على عبدي المؤمن ) : قال الطيبي : في إضافة النار إشارة إلى أنها لطف ورحمة ، ولذلك صرح بقوله : عبدي ، ووصفه بالمؤمن ، وقوله : أسلطها خبر أو استئناف . ( في الدنيا ) : خبر آخر، أو متعلق بأسلطها. ( لتكون) أي : الحمى. (حظه) أي: نصيبه بدلاً . ( من النار) : مما اقترف من الذنوب المجعولة له (يوم القيامة)..[5].

الاستعارة في قوله : (ناري) شبهت الحمى بالنار ، بجامع (شدة الحرارة في كلٍ ) ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به (النار) للمشبه (الحمى) على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ، والقرينة لفظية هي " في الدنيا" . وذُكِر مع الاستعارة ما يلائم الطرفين وهو الفعل (سلط) فهو ملائم للحمى وكذلك للنار، فهي استعارة مطلقة . وفي استعارة النار للحمى أثر عظيم في جعل الإحساس بالحرارة والألم ينتقل إلى النفس ويتمكن منها ، فكأنها تستشعر بذلك حرارة النار الحقيقية . وهذا من بديع استعارة المحسوس للمحسوس. ويبيّن الحديث أن أمر المؤمن كله خير ، وأن هناك مصائب كثيرة إذا تحملها المؤمن أثابه الله عليها في الآخرة ، حتى نار الحمى ،إذا صبر عليها تكون له نصيباً أو بدلاً عن نار الآخرة . (والله أعلم بمراده).

(3) قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( آمرُكم بخمسٍ ، اللهُ أمرني بهنَّ السمعُ ، والطاعةُ ، والهجرةُ والجهادُ والجماعةُ ، فإنه من فارق الجماعةَ قيدَ شبرٍ ، فقد خلع ربقةَ الإسلامِ من عُنُقِه ، إلا أن يراجِعَ ، ومن ادَّعى دعوى الجاهليةِ ، فإنه من جثا جهنمَ فقال رجلٌ يا رسولَ اللهِ : وإن صلَّى و صام ؟ فقال : وإن صلَّى وصام ، فادعوا بدعوى اللهِ التي سماكم المسلمين المؤمنين ، عبادَ اللهِ )[5].

(قوله فارق الجماعة قيد شبر) المعنى من فارق ما عليه الجماعة بترك السنة واتباع البدعة ونزع اليد عن الطاعة ، ولو كان بشيء يسير (بقدر شبر) ، فقد خلع ربقة الإسلام ، (أي نقض عهده وذمته من عنقه ) وانحرف عن الجماعة وخرج عن الموافقة ( إلا أن يراجع ) بصيغة المفاعلة والمبالغة ، بقة بكسر فسكون ، وهي في الأصل ما شد في حبل يجعل في عنق البهيمة ، أو يدها تمسكها ، فاستعارها للإسلام ، يعني ما شد المسلم به نفسه من عرى الإسلام ، أي حدوده وأحكامه وأوامره ونواهيه) [5].

قال الشريف الرضي : " وهذه استعارة ، والربقة : حبل يربط بين عودين ، ثم تُجعل فيه عُرى فتربق فيه السخال ، أي تربط فيه ...والسخال : جمع سخلة ، وهى بنت الشاة . فشبّه ما في عُنق الإنسان ، من لوازم الإسلام ومعاقد الإيمان ، بالربقة التى في عُنق السخل لتُمسك وتضبط ، إذا همَّ بالشرود ، وتمسكه إذا جاذب إلى النزوع ، وكذلك الإسلام يمنع صاحبه من الارتكاس [السقوط] في المحظورات .. والوقوع في الضلالات"[5].

ويكون إجراء الاستعارة كما يلي شبّه ما في عُنق الإنسان ، من لوازم الإسلام ومعاقد الإيمان بالربقة التى في عُنق السخل بجامع الصد والمنع عن الخروج في كل ، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به "الربقة" ، للمشبه بها في عُنق الإنسان ، من لوازم الإسلام ومعاقد الإيمان" على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية . والقرينة " إضافة الربقة للإسلام" . وذكر في سياق الاستعارة ما يلائم المشبه "المستعار له" في نحو قوله " السمع ، والطاعة ، والجماعة " فتكون الاستعارة مجردة .

والاستعارة هنا غاية في الجمال ، وقد جاءت لتقرر أمراً مهماً للمسلمين، ألا وهو أهمية التمسك بالجماعة والالتزام برأيها ومشورتها ، وعدم مفارقتها والخروج على حاكمها ، فإنه من يفارقها يكون قد قطع عُرى الإسلام التي تمثل حدوده وأحكامه وأوامره ونواهيه ، كالدابة التي كانت محاطة بسياج الجماعة، مربوطة في حظيرتهم ، فتخلع عن رقبتها رباطها وتخرج ، فتصبح عرضة للضياع و التلف . وهذا المعنى العقلي أستعير له صورة حسية مشاهدة من بيئة العرب وهو (صورة السخلة التي خلعت عنها رباطها) ليكون أكثر وضوحاً وتاثيراً في النفس .

4) عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا (كان يوم القيامة ، دفع الله عزَّ وجلَّ إلى كل مسلمٍ يهوديًّا أو نصرانيًّا . فيقول هذا فداؤك من النار )[5].

معنى (الفكاك ) بفتح الفاء وكسرها و الفتح أفصح وأشهر ، وهو : الخلاص والفداء . ومعنى هذا الحديث ما جاء في حديث أبي هريرة ( لكل أحد منزل في الجنة ومنزل في النار)، فالمؤمن إذا دخل الجنة خلفه الكافر في النار لاستحقاقه ذلك بكفره .ومعنى ( فكاكك من النار) أنك

كنت معرضاً لدخول النار ، وهذا فكاكُك ، لأن الله تعالى قدَّر لها عدداً يملؤها ، فإذا دخلها الكفار بكفرهم وذنوبهم صاروا في معنى الفكاك للمسلمين[5].

شبه اليهود والنصارى (الفكاك) - وهو الفدية التي تدفع من مال أو غيره لفك الرقبة من الأسر، أو غيره من الأمور التي تستوجب دفع الفدية- بجامع التحرير والتخليص في كلٍّ، ثم استُعير لفظ المشبه به (الفكاك) للمشبه (اليهود والنصارى) على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية "لأن اللفظ المستعار هو الفكاك" مصدر "فكَّ". ورشحت الاستعارة بذكر ملائم المستعار منه "الفكاك" وهو في قوله: "يوم القيامة، والنار". وقد زاد التصوير بالاستعارة معنى الحديث قوةً ووضوحاً .

5) عن أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يقولُ اللهُ تباركَ وتعالَى : ابنَ آدمَ ! إن صبرتَ واحتسبتَ عند الصدمةِ الأولَى ؛ لم أرضَ لك ثواباً دُونَ الجنَّةِ )[5].

قال الشريف الرضي:" وهذا القول مجاز ، المراد بالصدمة أوَّل ما يطرق الإنسان من النوائب ، ويبدهه من المصائب ، فشبه ذلك عليه الصلاة والسلام في شدة وقعته وعظيم روعته ، بصدمة الجسم الشديد ، أو صكة الحجر الثقيل في أنه يُروِّع ويحُطِّم ... ويؤلم . فإذا صبر الإنسان لتلك الوقعة ، وتماسك تحت تلك الروعة ، وسلم للأقضية النازلة والأقدار الغالبة ، ولم ينفذ في جوانب الجزع ويركض في مضمار القلق أعطى الأجر بُمَّته ...لأن ما يطرق الانسان وهو ذاهل ، ويفجؤه وهو غافل ، أعظم نكاية لقلبه وا إيجاعا لنفسه مما يطرق وقد أخذ له أهبته ، وأعد له عدته"[5].

ويكون إجراء الاستعارة كالآتي: شبَّه وقع المصيبة المفاجئة على نفس الإنسان "بالصدمة" التي هي سقوط شئ صلب بآخر صلب ، بجامع شدة التأثير في كلٍّ ، ثم استُعير اللفظ الدال على المشبه به "الصدمة" للمشبه "المصيبة المفاجئة " على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية. وذكر " الصبر والاحتساب" يلائم المستعار له "المصيبة المفاجئة" لذلك الاستعارة هنا مجردة. و هذا الحديث أيضاً من الأحاديث التي تدعو إلى الصبر عند الابتلاء، إرضاءً لله تعالى واحتساباً للأجر في الآخرة. واستعارة "الصدمة" لوقوع المصائب من بديع استعارة المحسوس للمعقول، إزداد بها المعنى بُعداً تصويرياً رائعاً ، واكتسب قوة وإيضاحاً ، وأفاد بأن الإنسان لا بد أن يكون صلباً قوياً حتى يتحمل مثل هذه الصدمات. فكلمة "الصدمة" إذن جاءت هنا معبرة تمام التعبير عن معنى وقوع المصيبة المفاجئة.

6) عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يُؤتَى بأشدِّ الناسِ كان بلاءً في الدنيا من أهلِ الجنة ، يقول اصبغوه صبغةً في الجنة فيصبغونه فيها صبغةً ، فيقولُ اللهُ عز وجلَّ يا ابنَ

هل رأيت بؤسا قط أو شيئا تكرهه ؟ فيقول : لا وعزتك ما رأيت شيئا أكرهه قط ، ثم يؤتى بأنعم الناس كان في الدنيا من أهل النار فيقول : اصبغوه فيها صبغة ، فيقول : يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط ، قرة عين قط ؟ فيقول : لا وعزتك ما رأيت خيرا قط ، ولا قرة عين قط )[5].

استعار الصبغ للغمس ، فشبه "الغمس في الجنة" بالصبغ ، بجامع "الأثر الباقي الذي لا يزول في كل" ، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو" الصبغ " للمشبه وهو "الغمس"، ثم أُشتق من (الصبغ) بمعنى (الغمس) الفعل (اصبغوه) على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، والقرينة (في الجنة) . والاستعارة مطلقة ، فلم يذكر معها ما يناسب الطرفين .

ويتضح من معنى هذه الاستعارة ودلالاتها اللفظية أن نعيم الجنة نعيم مقيم ودائم ، فالغمس يدل على إدخال الشيء في الشيء وإخراجه منه سريعاً دون أن يبقى عليه أثر منه، بينما (الصبغ) يبقى أثره على الأشياء أكثر من الغمس، فناسب استخدامها في هذا المقام، لأن نعيم الجنة مقيم وباق، كما أن أثر الصبغة أيضاً يبقى على الشيء المصبوغ به. فإذا كانت غمسة واحدة في الجنة تكفي لإزالة كل ما عاشه الإنسان من هم وضيق وشدة وفقر، فكيف بالخلود فيها.

(7) اللفظ : عجب ربُّنا عزَّ وجلَّ من رجلين رجلٍ ثار عن وطائه ولحافه من بين أهله وحبه إلى صلاته فيقول ربُّنا : أيا ملائكتي انظروا إلى عبدي ثار من فراشه ووطائه ومن بين حبه وأهله إلى صلاته رغبةً فيما عندي وشفقةً مما عندي ورجل غزا في سبيل الله عزَّ وجلَّ فانهزموا فعلم ما عليه من الفرار وما له في الرجوع فرجع حتى أُهريق دمه رغبةً فيما عندي وشفقةً مما عندي فيقول الله عزَّ وجلَّ لملائكته : انظُروا إلى عبدي رجع رغبةً فيما عندي ورهبةً مما عندي حتى أُهريق دمه )[5].

قوله : رجل (ثار) ، أي : قام بهمة ونشاط ورغبة (عن وطائه) : بكسر الواو ، أي : فراشه اللين (ولحافه) : بكسر اللام ، أي : ثوبه الذي فوقه . (من بين حبه) [وفي رواية أخرى] حبه : بكسر الحاء ، أي : محبوبه (وأهله إلى صلاته) ، أي : مائلاً عن الذين هم زبدة الخلائق عنده إلى عبادة ربه وخالقه ، علما بأنهم لا ينفعونه لا في قبره ولا يوم حشره ، وإنما تنفعه طاعته في أيام عمره.. (فيقول الله لملائكته) ، أي : مباهاة لعبده الذي غلبت صفات ملكيته على أحوال بشريته ، مع وجود الشيطان والوساوس والنفس وطلب الشهوة والهواجس، (انظروا إلى عبدي)، أي : نظر الرحمة المترتب عليه الاستغفار له والشفاعة . والإضافة للتشريف ، وأي تشريف ، أو تفكروا في قيامه من مقام الراحة ، (ثار عن فراشه ووطائه) ، أي : تباعد عنهما (من بين حبه وأهله) ، أي : منفرداً منهم ومن اتفاقهم ، ومعتزلاً عن اقترابهم واعتناقهم ، (إلى صلاته) ، أي: (رغبة) ، أي التي تنفعه في حياته وممانته معه بدل ما يملأ (" فيما عند ، أي: من الجنة

اب ، أَوْ مِنَ الرِّضَا وَاللِّقَاءِ يَوْمَ الْبَخْوِ (وِفَاشِ مَفَاعِنْدِي) : مِنَ الْجَحِيمِ وَأَذْوَاعِ أَوْ مِنَ السُّخْطِ وَالْحِجَابِ الَّذِي هُوَ أَشَدُّ مِنَ الْعِقَابِ [5].

الاستعارة في قوله (ثار عن وطائه ولحافه من بين أهله وحيّه إلى صلاته) ، في كلمة (ثار) ، حيث استعار الثورة للقيام ، فشبه قيام الرجل من فراشه رافضاً البقاء فيه متمرداً على النوم والراحة ، مسرعاً متحمساً لأداء صلاة الليل ، (بالثورة)، بجامع (الهمة والنشاط ورفض الراحة والإسراع نحو غاية مرجوة ) ، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به (ثار) للمشبه (قام)، ثم أُشتُقَّ من (الثورة) بمعنى (القيام) الفعل (ثار) على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، والقرينة (عن وطائه ولحافه) ذكر (اللحاف والوطاء) يلائم المستعار له (القيام) وبذلك تكون الاستعارة مجردة.

ويكمن جمال هذه الاستعارة وراء اللفظ المستعار (ثار) الذي استوعب بداخله معاني " الرفض والتدافع والتمرد والإسراع ، وغيرها مما تحتويه معاني الثورة " ودلَّ على أن قيام الرجل لم يكن عادياً بل كان بانفعال شديد وهمة عالية ورغبة أكيدة، ورفض للراحة والنوم ؛ ذلك لأن صلاة الليل لا يقدر عليها إلا أصحاب الهمم العالية ، والدرجات الإيمانية الرفيعة لما جُبلت عليه النفوس في ذلك الوقت من حب الخلود إلى النوم والراحة والكسل، فجاء التعبير (بثار) أبلغ من (قام) في وصف صورة هذا الرجل الذي غالب هواه وجاهد نفسه وآثر الصلاة على الراحة ، والآخرة على الدنيا ، وقد مدح الله سبحانه وتعالى أولئك الذين يقيمون الليل بأوصاف كثيرة ووعدهم بالثواب إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) [5].

8) وهنا حديث طويل عن الشفاعة ، سيقف الباحث فيه على شاهد الاستعارة فقط ، وهو ما رواه أنس ابن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جاء فيه : ... حدثنا محمد صلى الله عليه وسلم قال : ( إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض ...) [5].

قوله صلى الله عليه وسلم "إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض" . (ماج الناس) أي: اختلطوا، يقال (ماج البحر) إذا اضطربت أمواجه[5].

في الحديث استعارة في كلمة (ماج) ، حيث شبه (تدافع الناس يوم القيامة وتداخل بعضهم في بعض لكثرتهم) بموج البحر المتلاطم (الاضطراب) في كلٍّ ، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به (ماج) للمشبه (تدافع الناس) ، ثم اشتق من (الموج) بمعنى (التدافع) الفعل (ماج) على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، والقرينة (الناس)، وهي مجردة لأنه ذكر معها ما يلائم المشبه في قوله:(بعضهم في بعض).

"وكلمة [ماج] لا تقف عند حد استعارتها لمعنى (الاضطراب) بل إنها تصور للخيال هذا الجمع الحاشد من الناس ، احتشاداً لا تدرك العين مداه ، حتى صار هذا الحشد الزاخر كبحر، ترى العين منه ما تراه في البحر الزاخرمن حركة وتموُّج واضطراب ولا تأتي كلمة [ماج] إلا موحية بهذا المعنى ودالة عليه "[5]. والاستعارة هنا من أروع استعارات المحسوس للمحسوس ، وقد كانت الكلمة المستعارة فيها عنصراً مهماً في بناء الصورة الفنية وخلق الخيال الإبداعي فيها.

9) عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عزَّ وجلَّ: المؤمن عندي بمنزلة كل خير ، يحمدني وأنا أنزع نفسه من بين جنبيه )[5].

يعني: أنَّ العبد المؤمن يحمد الله سبحانه وتعالى في كل حال، في السراء، والضراء، فهو بمنزلة الخير، لا يأتي إلا بنفع، وفائدة، ومع هذا فإن الله جل ذكره ينزع نفس عبده من بين جنبيه؛ أي: يقبض روحه إليه إذا حان أجله، وهو صار لأمر ربه، مستسلم لقضائه؛ وهذا مثل للعبد الحقيقي، فإنه لا يرى من مولاه إلا كل خير، ولا يفتر عن عبادته في كل حال؛ لأن حق المولى لا يقدَّر بزمن، و لا عمل، لاسيما أن الله جل ذكره هو الذي أوجد عبده من العدم، وألبسه حلة ( لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ )[5] ، وأسبغ نعمظاهرة وباطنة . اللهم وفقنا لطاعتك[5].

استعار النزع لخروج الروح ، " فشبه خروج الروح من الجسد (بالنزع) ، بجامع الشدة في خروج كل ، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو" النزع" للمشبه وهو "خروج الروح"، ثم أُشتق من (النزع) بمعنى (خروج الروح) الفعل (أنزع) على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، والقرينة هي (نفسه). والاستعارة مطلقة، فلم يذكر معها ما يناسب الطرفين وكلمة "نزع" معبرة تمام التعبير عن كيفية خروج الروح وما يصحب ذلك من شدة وألم .

10) في حديث خروج الروح[5] ، يصف النبي صلى الله عليه وسلم ما يحدث لصاحب الروح الخبيثة عند إدخاله القبر: (فيقول: عليه قبره حتَّى تختلف أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول له أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر فأنا عملك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة ) [5].

قوله صلى الله عليه وسلم (مُنْتِنُ الرِّيحِ) أَيْ : لَهُ ، قَبِيحُ الْوَجْهِ ، قَبِيحُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ بِئْسَ الْيَوْمُ هَذَا يَوْمُكَ ) أَيِ : الْيَوْمُ . (الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ )

: في الدُّنْيَا كَمَا مَرَّ . (فَيَقُولُ: كُنْتَ الْوَ أَنْجَبْتَهُ ) أَيْ: جَاءَ الْكَامِلُ فِي الْقُبْحِ . (يَجِيءُ بِالشَّرِّ ) ءُ بِالشَّرِّ .و(فَيَقُولُ: أَنَا عَلَّمْتُكَ ذَلِكَ الْخَبِيثُ ) أَيِ : الْمُرَكَّبُ مِنْ خُبْثِ عَقَائِدِ أَهْلِ مَالِكَ وَ أَخْلَاقِكَ صِفَةُ الْمُزَعْفَرِ الَّذِي قَدْ جَالَسَ الْمُتَدَيِّنِ. (فَيَقُولُ : رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ ) [5].

الاستعارة في قوله (ابشر) ،حيث نُزِّل (ما يسوء صاحب الروح الخبيثة من العذاب الذي ينتظره) منزلة البشارة لقصد التهكم والسخرية ، لأن حقيقة البشارة الإخبار بما يسرّ وينفع. فشبه (ما يسوءه) بالبشارة، بجامع إحداث المسرة في كل ، وإن كانت المسرة في البشارة محققة ، وفي ما يسوء صاحب الروح الخبيثة متخيلة ، ثم استعيرت البشارة (لما يسوءه) ، واشتق منه الفعل (ابشر) بمعنى (يسوءك) على سبيل الاستعارة التهكمية .وهي أيضاً عنادية لعدم اجتماع طرفيها في شيء واحد لتنافيهما.

والبشارة جاءت في هذا السياق للتهكم والسخرية من صاحب الروح الخبيثة ، وكانت السخرية موجهة له من عمله القبيح الذي تمثل له في صورة إنسان قبيح الشكل نُ الرِّيحِ . يا له من موقف مخجل ، عمل الإنسان الكافر أو الفاسق هو الذي يسخر منه!، فما بال الملأ الأعلى؟! .

ثانياً: نماذج الاستعارة المكنية في الأحاديث القدسية :

1) عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم(قال: صلَّى صلاةً لم يقرأ فيها بأمِّ القرآنِ فهي خداجٌ ثلاثًا ، غيرُ تمامٍ ...) [5].

ذُكِر سابقاً أن (الخِداجُ ) بالضَّمِّ : النُّقصانُ ، ويطلق على الذَّاقَة ، إذا ألقت ولدها قبل أوان النتاج ، وإن كان تام الْخَلْقِ ، ويقال أَخْدَجَتْه (إذا ولدته ناقصاً وإن كان لتمام الولادة .

فالاستعارة هنا في كلمة (خِداج) ،حيث شُبِّهت الصلاة التي لم يُقرأ فيها بسورة الفاتحة (بالناقة التي ألقت جنينها قبل أوان النتاج) ، بجامع "النقصان" في كلٍّ ، ثم حذف المشبه به (الناقة) ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (الخَدْج) على سبيل الاستعارة المكنية، وإثبات الخدج للصلاة استعارة تخييلية، وهو قرينة الاستعارة المكنية، وذُكِر معها مايلائم الطرفين في قوله (غير تمام) فهي استعارة مطلقة.

وفيها أيضاً استعارة تبعية ، حيث شُبِّهت الصلاة التي لا يقرأ فيها بأم الكتاب ، (بخدج الناقة)، وأُشتق من (الخَدْج) بمعنى النقص (خِداج ) بمعنى ناقصة ، على سبيل الاستعارة التبعية.

فالرسول صلى الله عليه وسلم عمل على إيضاح المعنى العقلي بطريق الاستعارة حتى صار حسياً ملموساً مأنوساً لدى النفس، وفي استخدامه صلى الله عليه وسلم كلمة " خداج" بدلاً عن "ناقصة" أو ما يدل عليه ، بلاغة عالية ؛ وذلك لأن المجاز الاستعاري بنقل كلمة "خِداج" من معناها الأصلي واستخدامها في معنى عقلي بعيد كل البعد عن دائرة استخدام المعنى الأصلي

المستعار منه ، زاد المعنى بُعداً خيالياً واسعاً ، فالناقة التي سقط جنينها قبل اكتمال تخلّقه ومروره بمراحل الجنين المعروفة ، صورة حسية مستمدة من واقع المخاطبين وبيئتهم التي يعيشون فيها ، كانت خير مثال لاستشعار معنى النقص، أن تكون قد بدأت في التهيؤ للصلاة وأكملت لها وضوءها ودخلت في مناسكها ولكن لم تقرأ فيها بسورة الفاتحة ، فتكتشف بأنها ناقصة ، كالناقة التي كانت تنتظر مولوداً تغرُّ به عينها ، وترجو منه ما ترجو ، وفجأة تُسقطه قبل اكتماله ، فهذه الصورة لا تدل على معنى النقص فحسب ، وإنما تدل أيضاً دلالة نفسية واضحة على الإحباط وعدم الفائدة .

2) جُبَيْر ، يحدّث عن ابن عبَّاس ، قال لَمَّا نزلت هذه الآية: (وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ) [البقرة : آية 284] قال: قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء ، فقال النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم : "قولوا: سمعنا وأطعنا وسلَّمنا" : فألقى اللَّهُ الإيمان في قلوبهم، فأنزل اللَّهُ تعالى: (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) [ البقرة : آية 286] قال: قد فعلت "[5].

الاستعارة في قوله (فألقى اللَّهُ الإيمان في قلوبهم) حيث استعار الإلقاء الذي هو من صفات المحسوسات لدخول الإيمان في قلوبهم . وتكون الاستعارة هكذا : شبه دخول الإيمان في قلوب الصحابة وثباته وعدم زعزعته (بشيء له وزن) مع الاستقرار والتمكُّن في كلٍّ ، ذلك لأن الشيء الثقيل إذا ألقي في موضع ، استقر فيه وسكن ، ثم حذف المشبه به "الشيء الذي له وزن" ، ورمز إليه بشيء من لوازمه (الإلقاء) على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة إثبات الإلقاء للإيمان، وهي تخييلية. وورد في سياق الحديث ما يلائم المستعار له " الإيمان " وبذا تكون الاستعارة مجردة . " وفي استعارة المحسوس "ألقى" للمعقول " دخول الإيمان في القلوب" تجسيد لمعنى الإيمان، فصار له وزن ثقيل يمكن أن يُحْمل ويُلقى ، كما أن في استخدام الفعل "ألقى" أيضاً دلالة واضحة على عظمة الإيمان وتمكنّه واستقرارة في قلوب الصحابة الكرام رضوان الله عليهم .

وتُجرى الاستعارة باعتبارها تبعية على النحو الآتي : شُبِّه "دخول" الإيمان في قلوب الصحابة الكرام (بالإلقاء)، وأُشتق من (الإلقاء) بمعنى الدخول (ألقى) بمعنى دخل ، على سبيل الاستعارة التبعية.

3) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (إذا خرج روحُ المؤمن تلقاها ملكان يُصعدانها .قال حمادٌ : فذكر من طيب ريحها المسك . قال : ويقول أهل السماء: روحٌ طيبةٌ جاءت من قبل الأرض، صلَّى عليك وعلى جسدٍ كنتِ تعمرينه .فينطلق به إلى ربِّه عزَّ وجلَّ . ثمَّ يقول :

انطلقوا به إلى آخر الأجل . قال : وإنَّ الكافر إذا خرجت روحه صعد وذكر من نتنها ، وذكر لعنويقول أهل السماء روح خبيثة جاءت من قبل الأرض . قال فيقال : انطلقوا به إلى لأجل . قال أبو هريرة: فردَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ريطة ، كانت عليه ، على أنفه ، هكذا)[5].

معنى قوله: (ويقول أهل السماء) أراد به الجنس أي كل سماع .(روح طيبة) مبتدأ أو خبر لمحذوف هو "هي" ، وقوله (جاءت) الآن (من قبل الأرض) أي: من جهتها.. (صلى الله عليك) أي: أنزل الرحمة عليك، والخطاب للروح. قال الطيبي: في عليك التفات من الغيبة في قوله: جاءت إلى الخطاب، وفائدته مزيد اختصاص لها بالصلاة عليها (وعلى جسد كنت تعمرينه)، قال الطيبي: استعارة ، شبه تدبيرها الجسد بالعمل الصالح بعمارة من يتولى مدينة ويعمرها بالعدل والإحسان[5].

في قوله:(صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه) استعارة ، حيث شبه "الروح الطيبة" بالحاكم الصالح الذي يتولى مدينة ويعمرها بالعدل والإحسان . بجامع الأثر الصالح والتوجيه الحسن في كل ، ثم حذف المشبه به " الحاكم الصالح" ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو: "العمران" على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة "تعمرينه"، وهي تخييلية ، وتم ترشيح الاستعارة بذكر ملائم المستعار منه ، وهو "العمران" .

وفيها أيضاً استعارة تبعية ، حيث شبه تدبير الروح في جسد المؤمن ، (بالعمران)، وأُشتق من (العمران) بمعنى السكنى (يعمرينه) بمعنى تسكنين ، على سبيل الاستعارة التبعية.

وهذا تصوير جميل جداً للمعاني وتشخيصها في صورة إنسان ، فالروح تستحيل حاكماً مدبراً يتصرف في أمور البلاد ، غير أن بلادها تختلف عن بقية البلاد والأمكنة، فمكانها الجسد وليس أي جسد ، بل جسد المؤمن الذي عبد الله تعالى واخلص له العبادة ، فكانت تتصرف فيه بالعدل والإحسان وكل ما يشتمل على معاني الصلاح .

وهناك صورة لطيفة أخرى في هذه الاستعارة البديعة وهي أن مجيء الجملة الدعائية للروح والجسد(صلى اللهُ عليكَ وعلى جسدٍ كُنتِ تَعمرينَهُ)، توحي بصورة أخرى ، وهي صورة استقبال حافل بالدعوات والترحيب بالروح الطاهرة الطيبة القادمة من قبل الأرض ، فالملأ الأعلى كله يقف لاستقبالها مرحباً بها مسروراً بلقائها ، فقد كانت تعمر جسداً طيباً ، ثم فارقته مفارقة الحاكم الصالح لوطنه الصالح ، ثم أستقبلت في وطن جديد ، عالم آخر أجمل بكثير ، إلى عالم الخلود ، والنعيم الأبدي، عند مليك مقتدر . وهذه الاستعارة من أبدع الاستعارات في تصوير المعنوي وتشخيصه .

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ (4) الصَّامِتِ قَالَ فَقَدَ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- وَكَانُوا إِذَا نَزَلُوا وَظَنُّوا أَنَّ اللَّهَ تَوَلَّهُ وَمَنْ عَنَى اخْتَارَ لَهُ أَصْحَاباً غَيْرَهُمْ فَإِذَا بِهَالِ النَّبِيِّ -

ر َأَو ْه ُ و َصقَلَ ُوا ُلَيه َعلَيه َفوَكَلُ ُوا ُلَّ ِ ِين أَشْ َفقْ َنا أَن ْ ي َكُونَ اللَّهُ تَبَار َكَ و َتَعَالَى ار َ لَك َ أَصْ َحابا ً غَيْ َر َنا. فَقَالَ َر َسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- "أَصْ َحابِى فِى الدُّنْ َيا ذِى فَقَالَ الآخَرِ مَ ُحِرِّمَ ُاللَّهُ تَعَالَى أَقْ َظَ ْث ذَبِيًّا و َلاَ َر َسُولاً إِلاَّ و َقَدْ سَ َأَلَ ِنى مَ سْ َأَلَةً ل ْ يَا مُ َحمَّدُ تُعْ ِطَ ْيَ ُفَقُلْ ُت مَ سْ َأَلَتِى شَ َفَاعَةٌ لأُمَّتِى يَ ْو َمَ الْقِ َيَامَةِ فَقَالَ أَبُو بَكْ ٍر َيَسَاوِ َل يَا َر َبِّ اللَّهُمَّ شَ َفَاعَ َتَاىِ لِثَلاَّ َقِلَّ ُعِ َاقَ ُقَبِلَ أُت:" أَقِعِ ذْ َدَكَ فَيَقُولُ الرَّبُّ تَبَار َكَ و َتَعَالَى نَعَمْ . تَبَار َكَ و َتَعَالَى بَقِيَّةَ أُمَّتِى مِ َنَ النَّارِ فَيَ ِذَبِذُهُ ْم فِى الْجَ َنَّةِ "[5].

المعنى والله أعلم : أن كل نبي أعطي دعوة عامة شاملة لأمته ، فمنهم من دعا على أمته المكذبين له فهلكوا ، ومنهم من سأل كثرتهم في الدنيا كما سأله سليمان - عليه السلام، واختص النَّبي ّ - صلى الله عليه وسلم - بأن ادخر تلك الدعوة العامة الشاملة لأمته شفاعة لهم يوم القيامة[5].

وفي قوله (شفاعتي التي اختبأت عندك) استعارة . شبهت( الشفاعة) بإنسان ، بجامع أن كل منهما في حفظ الله تعالى، ثم حذف المشبه به (الإنسان) ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو (الاختباء) على سبيل الاستعارة المكنية التخييلية، والقرينة إثبات الاختباء للشفاعة، وذكر مع الاستعارة ملائم للمستعار له فالشفاعة في قوله: (لي بَقِيَّةَ أُمَّتِي من النار فَيَ ِذَبِذَهُ ْم في الجنَّة ) ، وبهذا فالاستعارة مجردة .

ويمكن أن تكون أيضاً تبعية ، حيثُ ُبِّ ه "حفظ " الشفاعة عند الله سبحانه تعالى لإعطائها أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، (بالاختباء)، وأُشتق من (الاختباء) بمعنى الحفظ (اختبأت) بمعنى حُ فِظَت، على سبيل الاستعارة التبعية.

وفي تشبيه الشفاعة بالإنسان تشخيص جميل، أضاف للمعنى الاستعاري حركة وحيوية، وزاده تأكيداً بأن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأمته، موجودة ، ومختبأة عند الله سبحانه وتعالى، وسيتم إخراجها في يومها المحدد، يوم القيامة.

5) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (احتجَّت الجنَّةُ والنار، فقالت النار: أوثِرتُ بالمتكبِّرين والمتجبِّرين ، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضُعَفاءُ الناس وسَقَطُهم. قال الله تبارك وتعالى للجنَّة: أنت رحمتي أرحمُ بك من أشاءُ من عبادي، وقال للنار: إنَّما أنت عذابي أعذِّبُ بك من أشاءُ من عبادي، ولكلِّ واحدةٍ منهما ملؤُها، فأما النار: فلا تمتلئُ حتى يضعَ رِجلَه فتقول: قطْ قطْ فهنالك تمتلئُ ويُزوى بعضُها إلى بعض، ولا يظلِمُ الله عزَّ وجلَّ من خلقِه أحداً، وأما الجنَّةُ: فإن الله عزَّ وجلَّ يُنشِئُ لها خلْقاً) [5].

قوله (تحاجت) أصله تحاججت وهو مفاعلة من الحِجَاج وهو الخِصَام وزنه ومعناه، يقال: حاججته ..أي غالبته بالحجة .(الجنة والنار) قيل : يجوز أن يكون هذا الخصام حقيقة بأن يخلق الله فيهما حياة وفهماً وكلاماً والله قادر على كل شيء ، ويجوز أن يكون هذا مجازاً كقولهم : "امتلأ الحوض وقال قطني "والحوض لا يتكلم وإنما ذلك عبارة عن امتلائه وأنه لو كان ممن ينطق لقال ذلك .. وحاصل اختصاصهما افتخار أحدهما على الأخرى بمن يسكنها فتظن النار أنها بمن ألقي فيها من عظماء الدنيا أبر عند الله من الجنة، وتظن الجنة أنها بمن أسكنها من أولياء الله تعالى أبر عند الله ، فأجيبتا بأنه لا فضل لأحدهما على الأخرى من طريق من يسكنهما ، وفي كلاهما شائبة شكاية إلى ربهما إذ لم تذكر كل واحدة منهما إلا ما اختصت به ، وقد رد الله الأمر في ذلك إلى مشيئته)[5].

في الحديث" صورة طريفة تقوم على التشخيص والحوار، فالجنة شخص يتكلَّم ، والنار كذلك . وتبدأ النار في الافتخار فتقول المتكبرين والمتجبرين" إنَّ هؤلاء هم الذين يدخلون إلى رحابي ويقيمون في ربوعي .. فترد الجنَّة .. وكأنها تريد أن يكون الجواب على هذا الفخر الكاذب من قِبَل الله جلَّ جلاله فتقول "إنما يدخلني الضعفاء الناس وسقطهم" . وهنا يأتي الحكم الربَّاني يقرِّر لكل منهما طبيعتها : فالجنة رحمة الله يرحم بها من يشاء ، والنار عذاب الله يعذِّب بها من يشاء ، ولكل منهما أن تمتليء بسكانها ولا رادَّ لحكمه. والصورة هنا صورة مفاخرة غيبية كان من خلالها التشخيص ، وكان من خلالها تقرير أن الجنَّة رحمة الله ، وأنَّ النار عذابه تبارك وتعالى" [5].

الاستعارة في قوله(تحاجَّت) حيث شُبِّهت الجنة والنار بإنسان ، بجامع القدرة على التكلَّم والتحاجُج وإن كان التحاجُج في الإنسان حقيقةً ، وفي الجنة والنار تخيُّلاً" ، ثم حذف المشبه به (الإنسان) ، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو "التحاجج" ، على سبيل الاستعارة المكنية. وإثبات التحاجج للجنة والنار تخييل ، وهو قرينة الاستعارة. وفي سياق الحديث القائم على الحوار والمناقشة والأخذ والرد ، ما يتلائم وطبيعة المستعار منه "الإنسان". فالاستعارة إذن مرشحة .

وهي كذلك تبعية : في قوله: "تحاجَّت"، حيث شُبِّه حال الجنة والنار في اختصامهما وشكايتهما إلى الله سبحانه وتعالى، وافتخار كل منهما على الأخرى بمن سيدخلهما(بالجنة) "لأنهما صارتا بظاهر هذه الحال كأنهما ناطقتان "،و أُشتق (من المحاججة) بمعنى دلالة الحال (تَحاجَّت) بمعنى تدل حالهما - على طريق الاستعارة التبعية.

6) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لما خلق الله الخلق حتَّى إذا فرغ من خلقه قالت الرَّحم هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع

من قطعَكِ قالت بلى يا ربِّ قال فهوَ لكِ .رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فاقرؤوا إن شِئتُمْ { فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ }[5]).[5]

(إنَّ اللَّهَ قضى الخلقَ حتَّى إذا فرغَ من خلقِهِ قالتِ الرَّحِمُ ) أي: لما قضاهم وأتمهم. والرَحِم :رحم المرأة وهو بيت منبت ولدها ووعائها ثم استعير للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحدة.. والرحم التي توصل وتقطع وتبر إنما هي معنى من المعاني ليست بجسم وا نما هي قرابة ونسب تجمعه رحم والدة ويتصل بعضه ببعض فسمى ذلك الاتصال رحماً، قال القاضي عياض وهذا المعنى لا يتأتى منه القيام ولا الكلام فيكون ذكر قيامها [وكلامها] .. ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب في استعمال ذلك والمراد تعظيم شأنها وفضيلة و اصليها وعظيم إثم قاطعيها .. وقيل: يُحتمل أن يكون على الحقيقة والأعراض يجوز أن تتجسد وتتكلم بإذن الله تعالى ..(هذا مقامُ العائذِ منَ القطيعةِ ) أي: المستعيذ وهو المعتصم بالشيء الملتجئ إليه المستجير به والإشارة إلى المقام أي قيامي في هذا الوقت وفي هذا المكان وبهذه الصفة قيام العائذ بك من القطيعة، تَطلُبُ من ربها حمايتها من القطيعة والقطيعة هي الإساءة وقيل هي عدم الإحسان[5].

الاستعارة في قولها( الرحم) حيث شبهت الرحم بإنسان يتكلَّم ويقول، ثم حُذِف المشبه به (الإنسان) ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (القول) على سبيل الاستعارة المكنية.وا ثبات القول إلى الرَحِم تخييل ، وهو قرينة الاستعارة . كما أن ذكر القول وطلب الاستعاذة ملائم للمستعار منه "الإنسان" لذا فالاستعارة هنا مرشحة .

ويمكن أن تكون استعارة تبعية :حيث شُبِّهت حال الرحم في طلبها الاستجارة من الله سبحانه وتعالى والاستعاذة به من القطيعة، (بالكلام أو القول)، "لأنها صارت بظاهر هذه الحال كأنها ناطقة "،وشُتُقَّ من (القول) بمعنى دلالة الحال (قالت) بمعنى تدل حالها - على طريق الاستعارة التبعية .

وفي (قول الرَحِم) تشخيص جميل ، تبدو فيه الرَحِمُ كأنَّها إنسان له شخصية وكيان، فهي تقف وتتكلّم وتقول ، وتشعر وتخاف وتستعيذ، وتدير حواراً لطيفاً مؤدباً مع الله سبحانه وتعالى تَطلُبُ منه حمايتها من القطيعة، فالقطيعة تؤذيها، وعدم الإحسان إليها يحزنها ويؤرقها. وهذه الصورة الخيالية بتشخيص الرَحِم ، زادت المعنى جمالاً وروعة وأضفت عليه حركة وحيوية. وفي الحديث نهي صريح عن قطيعة الرحم ، وترغيب بضرورة وصلها لأن الله سبحانه وتعالى يَصِل من يصلها ويقطع من يقطعها .

) عنْ ثوْبَانَ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ اللهَ زوَى لِيَ الأرضَ فرأيتُ مشارقَها ومغاربَها)[5].

ذُكِر سابقاً أن معنى " زوى لي الأرض" أي: جمع لي . وفي قوله صلى الله عليه وسلم : (إنَّ الله َ وىَ لي الأرض َ ) استعارة مكنية في كلمة (زوى َ ى)، حيث استعار الزوي الذي هو خاصة الأشياء المرنة للأرض فشبَّه به الأرض بشيء مَرِن يُمكن جمعه وطيَّه ،بجامع التمكُّن من إحاطة النظر في اتجاهات كل ٍ . ثم حذف المشبه به " الشيء المرن" ورمز إليه بشيء من لوازمه (الزوي)، على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة هي إثبات الزوي للأرض وهي تخييلية.

وهي أيضاً تبعية حيث شُبِّهت الأرض ، (بشيء يُزْوى)، وأُشتق من (الزَّوي) بمعنى الجَمْع (زَوَى) بمعنى جَمَع، على سبيل الاستعارة التبعية.

وفي استخدام حرف التوكيد (إنَّ) تأكيدٌ وتوثيقٌ لكلامه صلى الله عليه وسلم ، وفي الحديث بشرى سارة للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ بأن أراه الله سبحانه وتعالى امتداد دولته الإسلامية ، حتى يطمئن قلبه وتسكن روحه، فأراه مشارق الأرض ومغاربها، فكأنَّما كان ينظر فى خريطة العَالَم يُشاهد فيها ما سيفتحه من بلاد وما سيحققه من انتصارات في سبيل نشر الدعوة، وإعلاء كلمة الله، وإقامة دولة اسلامية لها هيبتها وكيانها وعظمتها بين الأمم ، فدانت له أقوى أمبراطوريتين عرفهما العالم على مر التاريخ وهما بلاد فارس والروم، وغيرهما من البلاد التي خضعت لسلطان المسلمين في عهده عليه الصلاة والسلام وعهد الخلفاء الراشدين ومن خلفهم ، فكانت هذه البشرى بأمر غيبي سيتحقق ، وبالفعل قد تحقق .

8) في حديث طويل رواه أبو هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يصف فيه مشهداً من مشاهد يوم القيامة ، وهو مشهد شفاعة الله سبحانه وتعالى للمسلمين ممن ارتكبوا ذنوباً في حياتهم الدنيا أوجبت عليهم النار:

( .... حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد ، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار ، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ، ممن أراد الله أن يرحمه ، ممن يشهد أن لا إله إلا الله ، فيعرفونهم في النار بأثر السجود ، تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود ...) [5].

شاهد الاستعارة في قوله (تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود) في كلمة (تأكل) ، حيث أعطى النار لازمة الأكل وهي من لوازم الإنسان والحيوان فكان طعامها "ابن آدم" ، فشبهت النار (بكائن حي، حيوان أو إنسان) بجامع "إفناء كل ما يقع في جوفهما" . ثم حذف المشبه به ورمز اليه بشيء من لوازمه" الأكل" على سبيل الاستعارة المكنية. والقرينة هي إثبات الأكل للنار ، وهي تخيلية . ورشحت الاستعارة بذكر ملائم المستعار منه "الإنسان" وهو في قوله (إلا أثر السجود).

وفيها أيضاً استعارة تبعية يشحشُ بِّه حرق النار لجسد ابن آدم حتى إفنائه ، (بالأكل)، وأُشتق من (الأكل) بمعنى الإفناء (تأكل) بمعنى تفني ، على سبيل الاستعارة التبعية.

وفي قوله (تأكل النار ابن آدم) صورة فنية دقيقة ؛ لأنها جملة فعلية متحركة متجددة تبدأ بالمسند الفعل (تأكل )؛ التي توحي بمنظر الأكل وكأنه يصير الآن . ومن خلال تشخيص النار وهي تأكل ابن آدم وتلتهم أعضاءه بكل شراهة وذَهَم ، عدا مناطق معينة منه وهي مناطق السجود، لا تأكلها ، لأنها محرمة عليها، نجد لوازم أخرى أعطيت للنار من لوازم الإنسان غير الأكل ، ألا وهي "التمييز، والتفكير ، والسمع ، والطاعة " ، فهي تميز، وتعرف ما يؤكل وما لا يجب أكله من ابن آدم، وهي مأمورة تنفذ توجيهات الله سبحانه وتعالى دون تردد ، وبانصياع شديد . وهذه الصورة الأخيرة وسعت من دائرة التشخيص في النار حتى استحالت إنساناً حقيقياً يتمتع بكل الصفات الإنسانية الحسية والعقلية. وهذا مكمن جمال الاستعارة .

9) عن المغيرة بن شعبة قال :( سأل موسى ربه : ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال : هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له : ادخل الجنة .فيقول أي رب !كيف ؟ وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت ، رب !فيقول : لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله . فقال في الخامسة : رضيت ، رب !فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله . ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك. فيقول : رضيت ، رب! قال : رب! فأعلاهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي . وختمت عليها . فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر . قال ومصداقه في كتاب الله عز وجل : { **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين** }[5] )[5].

قوله: (ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟) أي: ماصفة أو ما علامة أدنى أهل الجنة .قوله (وأخذوا أَخَذاتهم ): هو ما أخذوه من كرامة مولاهم وحصلوه أو يكون معناه: قصدوا منازلهم. قوله:(أولئك الذين أردت) بتاء المتكلم : معناه اخترت واصطفيت .(غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها) معناه : اصطفيتهم وتوليتهم فلا يتطرق إلى كرامتهم تغيير[5].

الاستعارة هنا مكنية، حيث شُبِّهت الكرامة (بالشجرة) بجامع الرعاية والاعتناء والمحافظة في كلٍّ ، ثم حذف المشبه به (الشجرة) ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو ( الغرس) على سبيل الاستعارة المكنية التخييلية ، والقرينة هي إثبات الغرس للكرامة . وذكر مع الاستعارة ملائم للمستعار له (الكرامة) في قوله: "فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر" فالاستعارة هنا مجردة .

ويمكن أيضاً إجراؤها باعتبار أنها تبعية، إذا عُلِم أن من معاني (الغرس) التثبيت: "يقال غَرَس فلان عندي نعمة: أثبتها"[5] في الاستعارة : شُبِّه ما ثبّته الله تعالى من كرامات وهِبات

للمؤمنين في الجنة، ورعايتها وحفظها، (بالغرس) وأُشتق من (الغرس) بمعنى التثبيت (غرست) بمعنى ثبَّت، على سبيل الاستعارة التبعية. والله أعلم بمراده.

ثالثاً: نماذج الاستعارة التمثيلية في الأحاديث القدسية :

والاستعارة في الحديث السابق يُشتَم منها رائحة استعارة أخرى تمثيلية في قوله ( أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها) ، حيث استعار هيئة من يغرس شجرة بيده، ويغلق عليها باباً حفاظاً عليها ، ويختم عليه بخاتم زيادة فى الحفظ - لهيئة خلق الله الكرامة والمحافظة عليها إلى أن يمنحها الله لمن أراد لهم تلك الكرامة . والجامع في الاستعارة العناية الشديدة والمحافظة على شيء له مكانة وأهمية خاصة . والقرينة هنا حالية.

وبالنظر لجمال هذه الاستعارة وما بها من إيحاءات ، يُلاحظ أن كلمة (خَتَمَ ) والتي من معانيها "الطَّبْع، أي: التغطية على الشيءوالاستيثاقُ من أنلا يدخُلَه شيء"[5] ، تدل على العناية الفائقة بحفظ هذه الكرامة وهذه الهبة الربانية التي اصطفى بها الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين ، فهي مغروسة بيده سبحانه وتعالى محفوظة بحفظه ، مختوم عليها بخاتمه ، فلا يدخلها شيء ولا يعتريها تغيير .

2) قال النبي صلى الله عليه وسلم فيالخطبةخطبهذيأيوم: (ذِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا)... إلى قوله عليه الصلاة والسلام( إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ عَرَبِهِمْ وَعَجَمِهِمْ إِلاَّ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لاَ يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ )[5].

المقتال: الطِّيبُ، يُقَالُ: هُوَ أَطْيَبُ مِنَ الْمِقْتَالِ. "محفوظا في القلوب ملاحل بغسل تداوله بالقراءة الطاسين أو ذكرت السماوات والأرض لا ينسخ ولا ينسى إبطال حكمه، وترك قراءته، والإعراض عن زجره بغير الماء، على سبيل إبطال حكمه، بالإذابة لمن تعجل زجره أو لا كتيبطله جور جائر، ولا يدحضه قول ناظر، لإبطال معنى بالإبطال صبغ وزقيل ة كذي ذناه وكثرة جدواه "[5].

والاستعارة هنا تمثيلية في قوله: (ما لا يغسله الماء ) ، حيث استعار هيئة شيء به أثر لشيء ملتصق به ، ثابت فيه ، لا ينمحي ولا يزول ولا يبطل، مهما غسل بالماء - لهيئة الكتاب الذي أنزله الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو "القرآن الكريم" فهو محفوظ في الصدور ، لا يستطاع نسخه أو تحريفه، أو ترك قراءته ، أو إبطال حكمه، فهو باقٍ مادامت السموات والأرض. والجامع في الاستعارة "الحفظ والبقاء وعدم التغيير والتبديل في كل ّ ".

وهكذا تتسع الصورة الفنية للاستعارة في الأحاديث القدسية ، فهي تخفي وراء الكلمة المستعارة صوراً خيالية تأثر القلوب وتجبرها على التصديق بمعطياتها، فهي مقنعة إذا ما تشخَّصت وخلقت على المعاني المعقولة صفاتٍ إنسانية محسوسة تزخر بالمشاعر والحركة والحياة ، وهي

معبرة إذ ما استلهمت من الواقع صورته وا يقاعه اليومي، ومن البيئة نباتها وحيوانها وجمادها ، وهي دقيقة إذا ما وصفت الموقف وراعت المقام.

## المبحث الرابع
## صور الكناية في الأحاديث القدسية

نماذج الكناية في الأحاديث القدسية :

جاءت الكناية في معظم الأحاديث القدسية معبّرة عن المقادير والأزمان، والسرعة والمسافة والبُعْد والقُرْب؛ وذلك بهدف توضيح المعنى وتقريب الفهم. ومن أمثلة ذلك :

1) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :( يَدخلُ أهلُ الجنةِ الجنةَ وأهلُ النارِ النارَ ، ثم يقولُ اللهُ تعالى : أخرِجوا من النارِ من كان في قلبِه مثقالُ حبةٍ من خَردَلٍ من إيمانٍ ، فيُخرَجون منها قد اسودُّوا، فيُلقَون في نهرِ الحَياةِ، أو الحياةِ شكَّ مالكٌ، فيُنبتون كما تَنبُتُ الحِبَّةُ في جانبِ السَّيلِ، ألم تَرَ أنها تخرُجُ صفراءَ مُلتَوِيَةً )[5].

ملاحظةُ أن الحديث يعرض موقفاً من مواقف يوم القيامة. وفي قوله : (مِثقالُ حَبَّةٍ ) بفتح الحاء هو إشارة إلى ما لا أقل منه ، قال الخطابي هو مَثَلٌ ليكون عياراً في المعرفة لا في الوزن ؛ لأن ما يشكل في المعقول يرد إلى المحسوس ليفهم، وقيل المراد بحبة الخردل هنا ما زاد من الأعمال على أصل التوحيد"[5].

الكناية في قوله: حبَّةٍ من خَردَلٍ ) كناية عن صفة (صِغر الشيء)، وقد عبَّر عنها بصورة حسية معروفة مبالغة في الإيضاح وتقريباً للفهم . وفيها إيماء وإشارة لوضوحها وانعدام وسائطها.

2) عن أبي زرعة سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال :سمعت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول :( قال اللهُ عزَّ وجلَّ : ومن أظلم ممن ذهبَ يخلقُ كخَلْقي ، فليَخلُقوا ذرَّةً ، أو : ليَخلُقوا حبَّةً ، أو شعيرةً ) [5].

الحديث يتحدَّث عن حكم صنعة التصوير والعذاب المتوعد به لصانعها. ومعنى قوله: (ومن أظلم ممن ذهبَ يخلقُ كخَلْقي؟) الاستفهام إنكاري، بمعنى النفي، أي لا أحد أظلم. (وذهب) بمعنى قصد، والتشبيه في (كخلقي) في فعل الصورة وحدها لا من كل الوجوه، فإن الذي خلقه سبحانه وتعالى واخترعه ليس صورة في حائط ، بل هو خلق تام.(فليَخلُقوا ذرَّةً ): المراد إيجاد الذرَّة – أي النملة حقيقة لا تصويرها .(أو ليَخلُقوا حبَّةً ): المراد من الحبة هنا حبة القمح، بقرينة ذكر

(الشعيرة بعدها) أو الحبة أعم من حبة القمح، والغرض تعجيزهم ، تارة بتكليفهم خلق حيوان (ذرَّة) وهو أشد ، وأخرى بتكليفهم خلق جماد وهو أهون ، ومع ذلك لا قدرة لهم على ذلك "[5].

ولا شك أن حرمة التَّصوير جاءت لِما فيه من محاولة مضاهاة خلقِ اللهِ عزَّ وجلَّ - الذي تفرَّد بالخلق - وشاهد الكناية هنا في قوله تعالى: (فلْيَخْلُقوا ذرَّةً ، أو : لِيَخْلُقوا حبَّةً ، أو شعيرةً )، (فالذرة والحبة والشعيرة) كناية عن صفة(صغر الشيء). وفيها إيماء وإشارة لوضوحها وقلة وسائطها. وفي الحديث تحريم للتصوير لِما في ذلك من مضاهاة خلق الله.

ثانيا من السُّنة: (3) عن خليفة الطائي قال : سمعتُ عدي بن حاتم يقول: كنتُ عند رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فجاءهُ رجلانِ ، أحدهما يشكو العَيْلَةَ ، والآخرُ يشكو قَطْعَ السبيلِ ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم(أمَّا قَطْعُ السبيلِ فإنَّهُ لا يأتي عليكَ إلا قليلٌ ، حتى تخرجَ العيرُ إلى مكةَ بغيرِ خَفيرٍ ، وأمَّا العَيْلَةُ فإنَّ الساعةَ لا تقومُ ، حتى يطوفَ أحدكم بصدقتِهِ ، لا يجدُ من يقبلُها منهُ ، ثم لَيَقِفَنَّ أحدكم بينَ يَدَيِ اللهِ ، ليسَ بينَهُ وبينَهُ حجابٌ ، ولا تَرْجُمانٌ يُتَرْجِمُ لهُ ، ثم ليقولَنَّ ألم أُوتِكَ مالاً ؟ فلَيَقُولَنَّ : بلى . ثم ليقولَنَّ ألم أُرْسِلْ إليكَ رسولاً ؟ فليقولَنَّ : بلى . فينظرُ عن يمينِهِ فلا يَرَى إلاَّ النارَ ، ثم ينظرُ عن شمالِهِ فلا يَرَى إلاَّ النارَ ، فلْيَتَّقِيَنَّ أحدكم النارَ ولو بشِقِّ تمرةٍ ، فإن لم يجد فبكلمةٍ طَيِّبَةٍ )[5].

معنى " فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة " أي فليجعل بينه وبين النار حاجزاً من الصدقة، ولو أن يتصدق بنصف تمرة، فإن الصدقة تطفيء غضب الرب، " فإن لم يجد " ما يتصدق، "فبكلمة طيبة " أي فليرد رداً جميلاً يطيب به نفس السائل"[5].

في قوله(شِقِّ تمرةٍ) كناية عن صفة القِلة . وشق التمرة نصفها وهو على سبيل المبالغة في القلَّة . فمن تصدق ولو بالقليل من ماله مخلصاً لله قد يكون ذلك سبباً في عتقه من النار . والكناية واضحة اللزوم وليس لها وسائط ، فهي من نوع الإشارة والإيماء. وفي قوله "فينظر عن يمينه"... و "شماله" مطابقة جميلة . وقد أحدثت موسيقى السجع في قوله"قَطْعُ السبيلِ فإنَّهُ لا يأتي عليكَ إلا قليلٌ ، حتى تخرجَ العيرُ إلى مكةَ بغيرِ خَفيرٍ " نوعاً من التناغم والتناسب بين ألفاظ الحديث . والحديث يرغِّب في إخراج الصدقة حتى ولو بالقليل.

(4) عن أبي أُمامةَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :( إذا كان يومُ القيامة قامت ثُلَّة من النَّاس يسدون الأُفق نورهم كالشمس، فيقال: النبيُّ الأمي فيتحسس لها كلُّ نَبِيٍّ فيُقَالُ : محمد وأمته، ثم تقوم ثُلَّةٌ أخرى يَسدُّ ما بين الأفق نُورهم كالقمر ليلة البدر، فيقال: النبي الأمي، فيتحسس لها كل شيءٍ ، فيقال: محمدٌ وأمته، ثم تقوم ثُلةٌ أخرى يسد ما بين الأفق نورهم مثل كوكب في السماء،

فيقال: النبي الأمي، فيتحسس لها كل شيء ، فيقال: محمدٌ وأمته، ثم يحثي حثيتين فيقول: هذا لك يا محمد وهذا مني لك يا محقم يوضع الميزانُ ويؤخذ في الحساب) [5].

في قوله : (يسدون الأُفق) ، كناية عن الكثرة ، أي كناية عن صفة ، وهي قريبة ، وواضحة اللزوم ، وليس بها وسائط ، فيكون بها إيماء وإشارة . وفي الحديث فضل كبير من الله تعالى على أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فهم يُمَيْزَون عن الأمم الأخرى يوم القيامة بنورهم ، والصورة تبدو جميلة للغاية ، فكل ثلة منهم يكون نورها على هيئة معينة ، ولعل هذا النور يزيد ويَجْمُل حسب الدرجات الإيمانية ، وكلهم أفاضل .

5) حدثنا أنس بن مالك رضي عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (قال الله تبارك وتعالى يا ابن آدم إنّكَ ما دعوتَني ورجَوْتَني غفرتُ لكَ على ما كانَ فيكَ ولا أُبالي يا ابن آدم لو بلغَتْ ذنوبكَ عَنَانَ السماءِ ثم استغفرتَني غفرتُ لكَ ولا أبالي يا ابن آدم إنك لو أتَيتَني بقُرابِ الأرضِ خطايا ثم لقِيتَني لا تُشْرِكُ بي شيئا لأتَيتُكَ بقُرابِها مغفرةً ) [5].

قوله: (إنّكَ ما دعوتَني ورجَوْتَني) ما مصدرية ظرفية ؛أي ما دمت تدعوني وترجوني يعني في مدة دعائك ورجائك .( غفرتُ لكَ على كانَ فيكَ ): أي من المعاصي وإن تكررت وكثرت . (ولا أُبالِي): أي لا أتعظم مغفرتك علي وإن كان ذنباً كبيراً أوكثيراً . ومعنى (عَنَانَ السماءِ ) أي سحابها ، وقيل ما علا منها أي ظهر لك منها إذا رفعت رأسك إلى السماء . ومعنى قُراب الأرض: أي ما يقارب ملئها خطايا[5] .

وفي الحديث الحث على الدعاء ، فهو من العبادة ، بل هو مخ العبادة، ولكن لا بد من استكمال شرائطه من حضور القلب ، ورجاء الإجابة من الله تعالى ، وفي الحديث أيضاً أن باب التوبة والمغفرة مفتوح مهما تعاظمت المعاصي ، فإذا استغفر الإنسان ربه منها غفرها الله له.

وجد كنايتان في الحديث، هما: (عَنَان السماءِ ) و (قُرابَ الأرضِ ) ، كناية عن صفة (الكثرة)، والكنايتان واضحتان ولا وسائط لهما فهما من نوع الإيماء والإشارة . والغرض منهما المبالغة في الكثرة.

6) .. عن أبي عبد الرحمن المعافري ثم الحبلي قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنّ اللهَ تعالى سيُخَلِّصُ رجلاً من أمتي على رؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامة فينشُرُ عليه تسعةً وتسعين سِجِلاًّ ، كلُّ سِجِلٍّ مثلُ مدِّ البصرِ ثم يقولُ : أتُنكِرُ من هذا شيئاً مما كَتَبَتي الحافظون؟ أظلَمَكَ كَتَبتي الحافظون؟ فيقولُ : لا يا ربِّ . فيقولُ : أفلَكَ عُذرٌ ؟ فيقولُ : لا يا ربِّ ، فيقولُ : بلى إنّ لكَ عندنا حسنةً إنّه لا ظلمَ عليكَ اليومَ ، فيُخرِجُ بطاقةً فيها أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه ، فيقولُ : احضُرْ وزنَكَ ، فيقولُ : يا ربِّ ما هذه البطاقةُ مع هذه

السِّجِلَّاتُ فقال فإنك لا تُظْلَمُ فتوضع السِّجِلَّاتُ في كِفَّةٍ والبطاقةُ في كِفَّةٍ فطاشت السِّجِلَّاتُ وثقُلت البِطاقةُ ، ولا يَثقُلُ مع اسمِ اللهِ شيءٌ )[5].

قوله:( إن الله سيُخَلِّصُ ) أي: يميز ويختار . فينشر له: أي فيفتح له( تسعة وتسعين سجلاً) والسجل : الكتاب الكبير . (كل سجل مثل مد البصر) أي: كل كتاب منها طوله وعرضه مقدار ما يمتد إليه بصر الإنسان. فتخرج له (بطاقة) قيل في القاموس : البطاقة ككتابة الرقعة الصغيرة المنوطة بالثوب التي فيها رقم ثمنه سميت لأنها تشد بطاقة من هدب الثوب.( فيها) أي: مكتوب في البطاقة( أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله) . وقوله (احضر وزنك) أي: الوزن الذي لك أو وزن عملك ... ، وهو الميزان ليظهر لك انتفاء الظلم وظهور العدل وتحقق الفضل. وقوله: (فطاشت السجلات) أي خفت ( وثقلت البطاقة) أي: رجحت والتعبير بالمضي لتحقق وقوعه. وقوله: (ولا يثقل) أي ولا يرجح ولا يغلب،(مع اسم الله شيء): والمعنى لا يقاومه شيء من المعاصي بل يترجح ذكر الله تعالى على جميع المعاصي[5] .

هذا الحديث يصور مشهداً رهيباً من مشاهد يوم القيامة ، يوم الحساب ، حيث توزن الأعمال بالميزان ، ويتضمن المشهد جانباً حوارياً شيّقاً بين الله سبحانه وتعالى وبين عباده ، تتجلى فيه عدالة الله سبحانه وتعالى التي لا تضاهيها عدالة ، فكل شيء عنده بمقدار وميزان، قال الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)[5].ويفهم من الحديث أن كلمة التوحيد هي الكلمة المنجية التي تثقل وترجح كفة الميزان .

شاهد الكناية في قوله ( مثل مدّ البصر): ففي كلمة (مدّ البصر ) كناية عن صفة وهي الطول (أي طول السجل) ، وهو من الكنايات الواضحة اللزوم وليس بها وسائط ، وفيها إشارة وإيماء، هذا فضلاً عما اشتملت عليه من تشبيه رائع زاد المعنى وضوحاً وكسبه جمالاً .

(7) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كان يوماً يُحَدِّثُ، وعنده رجلٌ من البادية: (أن رجلاً من أهلِ الجنَّةِ استأذَنَ ربَّهُ في الزَّرعِ، فقال له: ألستَ فيما شِئتَ ؟ قال: أن أزرَعَ، قال: فبذَرَ فبادَرَ الطَّرفَ نباتُهُ واستِواؤُهُ واستِحصادُهُ، فكان أمثالَ الجِبالِ فيقول الله: دونَكَ يا ابنَ آدمَ، فإنه لا يُشبِعُكَ شيءٌ ) . فقال الأعرابيُّ : والله لا تجِدُهُ

إلا قرشيًا أو أنصاريًا، فإنهم أصحابُ زرعٍ، وأما نحنُ فلسنا بأصحابِ زرعٍ، فضحِكَ النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم [5].

قوله : (الطرف) بفتح الطاء وسكون الراء امتداد لحظ الإنسان إلى أقصى ما يراه ، ويطلق أيضا على حركة جفن العين وكأنه المراد هنا. يقول: إنه لما بذر [أي زرع البذور داخل الأرض] لم يكن بين ذلك وبين استواء الزرع ونجاز أمره كله من القلع والحصد والتذرية والجمع والتكويم إلا قدر لمحة البصر . وفي هذا الحديث من الفوائد أن كل ما اشتهي في الجنة من أمور الدنيا ممكن فيها. وفيه وصف الناس بغالب عاداتهم . وفيه إشارة إلى فضل القناعة وذم الشر، وفيه الإخبار عن الأمر المحقق الآتي بلفظ الماضي[5].

في قوله: (فبادَرَ الطَّرْفَ ) كناية عن صفة ، وهي( السرعة) ، أي سرعة إنبات النبات ونموّه وحصاده في لمح البصر . وبما أن الكناية هنا واضحة، وليس بها وسائط فهي من نوع الإشارة أو الإيماء.

وصورة النبات وهو ينمو، ويستوي، ويُحصد ويُجمع ويكوم حتى يصير شكله كهيئة الجبال في الارتفاع ، وكل هذا يتم في لمح البصر، صورة غيبية طريفة وعجيبة ، وفيها إشارة إلى عظم قدرة الله سبحانه وتعالى الذي لا يعجزه شيء، وإذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون .

وهناك كنايات كثيرة وردت في الأحاديث القدسية تُبْرِز الجانب النفسي للإنسان ،مثل الفرح والحزن والكآبة ، والتعب والمشقة. من أمثلتها :

1) جاء في حديث فتنة المسيح الدجال قوله صلى الله عليه وسلم: (ثم يدعو رجلاً ممتلئًا شبابًا . فيضربه بالسيفِ فيقطعه جزلتَينِ رميةَ الغرَضِ ثم يدعوه فيقبِلُ ويتهلَّلُ وجهُه . يضحك).

الكناية في قوله (يتهلَّلُ وجهُه)، كناية عن الفرح والسرور، فالكناية عن صفة ، وهي واضحة اللزوم ، وبدون وسائط ، ففيها إيماء وإشارة.

وصورة الدجال وهو يقسم الرجل إلى نصفين ، ثم يدعوه فيأتي متهلل الوجه ، ضاحكاً مسروراً ، وكأن الأمر الذي حل به ليس خطيراً بل هو أمر عادي ! ، صورة بديعة قائمة على توضيح مدى خطورة فتنة هذا الدجال.

2) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة ، فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك لا تعصني ، فيقول أبوه : فاليوم لا أعصيك ، فيقول إبراهيم : يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون ، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد ؟ فيقول الله تعالى : إني حرمت الجنة على الكافرين ، ثم يقال : يا إبراهيم ، ما تحت رجليك ؟ فينظر ، فإذا هو بذيخ متلطخ ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار )[5].

قوله :( وعلى وجه آزر قترة وغبرة ) هذا موافق لظاهر قوله تعالى ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾[5]: أي يغشاها قترة ، فالذي يظهر أن الغبرة الغبار من التراب، والقترة السواد الكائن عن الكآبة.

قوله: ( فيقول إبراهيم يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون ، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد) وصف نفسه بالأبعد على طريق الفرض إذا لم تقبل شفاعته في أبيه ، وقيل : الأبعد صفة أبيه أي أنه شديد البعد من رحمة الله لأن الفاسق بعيد منها فالكافر أبعد، وقيل : الأبعد بمعنى البعيد والمراد الهالك.

قوله: (ثم يقال يا إبراهيم ما تحت رجليك ؟ فينظر فإذا هو بذيخ متلطخ ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار) .فإذا رآه كذا تبرأ منه .والذيخ ذكر الضباع ، وقيل لا يقال له ذيخ إلا إذا كان كثير الشعر. وقوله " : متلطخ " قال بعض الشراح : أي في رجيع أو دم أو طين .. قيل : الحكمة في مسخه لتنفر نفس إبراهيم منه ولئلا يبقى في النار على صورته فيكون فيه غضاضة على إبراهيم.

في قوله( وعلى وجه آزر قترة وغبرة ) كناية عن الكآبة ، لما وجده من المصير السيء الذي ينتظره عند الله تعالى نتيجة كفره وضلاله ، فالكناية هنا عن صفة ، وهي واضحة اللزوم – حسب اعتقاد الباحث- لأن الوجه دائماً مرآة صاحبه ، يعكس ما بداخله من فرح أو كره ، كما أن الكناية هنا ليس لها وسائط ، فبها إشارة وا يماء.

3) حدثنا موسى بن إبراهيم بن كثير الأنصاري قال سمعت طلحة بن خراش قال سمعت جابر بن عبد الله يقول: (لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: ما لي أراك منكسرا ؟

يا رسول اللَّه استُشْهِدَ أبي ، وتركَ عيالاً ودَيْناً ، قالَ : قال ألا أبشّرُكَ بما لقيَ اللَّهُ بِهِ أباكَ ؟ لَى يا رسولَ اللَّه. قالَ : ما كلَّمَ اللَّهُ أحداً قطُّ إلاَّ من وراءِ حجابهِ ، وأحيى أباكَ فكَلَّمَهُ كِفاحاً. فقالَ : تمنَّ عليَّ أعطيكَ قالَ تُحْيِيني فأُقتَلَ فيكَ ثانيةً . قالَ الرَّبُّ تبارك وتعالى: بقَ إنَّهُ يقدأسَّهمَ لا يُرجَعونَ قالَ :ووأُنْزِلَتْ هذِهِ الآيَةُ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا الآيةُ )[5].

قولهكِفاحاً ) : أي مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول.قوله( تُحيِيني) : من الإحياء ، أي أحييني مرة ثانية.قولهقالَ وتعالى: إنَّهُ قد سَبقَ منِّي أنَّهم لا يُرجَعونَ )[5].

(الانكسار) هنا كناية عن صفة الحزن والهم ، فالصحابي الجليل حزن على موت أبيه واعتلاه الهم من الديون التي تركها له، ومن مسئولية إخوته الصغار .وهي كناية واضحة اللزوم وليس لها وسائط ، فهي من نوع الإشارة والإيماء .

وفي الحديث تطييب لخاطر الصحابي الجليل من الابتلاء الذي نزل به . وكان النبي صلى الله عليه وسلم دائماً ما يهتم بتطييب خواطر أهل الابتلاءات وأصحاب الهموم . وفي الحديث شرف كبير وحظوة لوالد الصحابي الجليل أن كلمه الله سبحانه وتعالى دون حجاب، وبشرى بالثواب العظيم الذي ينتظره في الآخرة حتى أنه تمنى أن ترد له روحه فيقتل في الله مرة أخرى .

4) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلىالله عليه وسلم قال : (إنَّ اللهَ يُباهي بأهلِ عرفاتٍ ملائكةَ السَّماءِ فيقولُ انظروا إلى عبادي هؤلاء جاءوني شُعْثًا غُبْرًا )[5].

يوم عرفة هو أفضل يوم طلعت عليه الشمس، وهو اليوم الذي يباهي ويفاخر الله فيه ملائكته بعباده الحجاج الذين جاءوا إليه من جميع أصقاع العالم شُعثاً غُبراً متجردين من دنياهم، وزينتهم ، تتملكهم مشاعر الحب والرغبة والرهبة والخوف والرجاء، لا يفتر قلبهم ولا لسانهم عن ذكر الله . وفي هذا اليوم العظيم يستحبالإكثار من الدعاء والتضرّع ،والتوبة، و التقرب إلى الله بالأعمال الصالحة ، للحاج ، وغير الحاج .

تضمن الحديث كناية لطيفة في قوله : جاءونيشُعْثًا غُبْرًا) ، كناية عن التعب والمشقّة التي يجدها الحاج في الحج . والصورة الفنية في هذه الكناية اهتمت برسم صورة الحاج ومظهره الخارجي المتمثل في الشعر الأشعث والهيئة المغبرة التي يُستدل بها على عدم اهتمام الحجاج بتهذيب شعورهم والعناية بهيئتهم وزينتهم؛ لأنهم جاءوا لهدف أسمى من هذه الأشياء الدنيوية ، وهو طاعة الله ورضوانه ، يرجون رحمته ويخشون عذابه ، فلا مساحة للدنيا بين قلوبهم الوجلة ،

وأرواحهم المتطلعة لرضاء الله وعفوه ، ومحبة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم. والكناية هنا عن صفة ، هي واضحة اللزوم ، وليس بها وسائط ، فيكون في معناها إيماء وا ٍشارة .

* كما جاء التعبير عن الموت ، ومصير الإنسان في الدار الآخرة في كنايات الأحاديث القدسية بعدة ألفاظ منها " القبض" ، "خروج الروح" ، " لقاء الله". مثال ذلك:

1) عن أبي موسى الأشعري ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ( إذا مات ولدُ العبدِ قال الله لملائكته قبضتُم ولدَ عبدي ؟ فيقولون : نعم . فيقول :قبضتم ثمرةَ فؤاده فيقولون : نعم . فيقول : ماذا قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع، فيقول اللهُ :ابنوا لعبدي بيتًا في الجنةِ وسموه بيتَ الحمدِ ) [5].

قوله :(قال الله لملائكته) أي: ملك الموت وأعوانه، (قبضتم) على تقدير الاستفهام (ولد عبدي) أي : روحه. فيقول (قبضتم ثمرة فؤاده) .. قيل سمى الولد ثمرة فؤاده ؛ لأنه نتيجة الأب كالثمرة للشجرة (واسترجع) أي : قال : إنا لله وا ٍنا إليه راجعون. (ابنوا لعبدي بيتًا في الجنةِ وسموه: بيتَ الحمدِ ) أضاف البيت إلى الحمد الذي قاله عند المصيبة ؛ لأنه جزاء ذلك الحمد[5].

في الحديث كنايتان:

الأولى : في (قبضتُم ولدَ عبدي): القبض كناية عن الموت . وهو موصوف .

الثانية : في قوله : (ثمرةَ الفؤاد) ، كناية عن موصوف وهو (الولد) ، فكما أن للشجرة نتاجًا هي ثمارها، وهي أفضل ما فيها وأنفع، كذلك الولد ثمرة الأب ونتاجه وبه ينتفع لو رباه على الخير والصلاح. ولشدة شغف قلب الوالد بالولد وتعلقه به صار كأنه ثمرته، بل ثمرة فؤاده الذي هو أيضاً خلاصة أعضائه وأهمها . ويظهر من معنى الحديث فضل الصبر عند فقد الولد ، مع الشكر واحتساب الأجر من الله تعالى .

2) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسولالله صلى الله عليه وسلم قال : يقولُ اللهُ تعالَى: (ما لعبدي المؤمنِ عندي جزاءٌ ، إذا قبضتُ صفِيَّه من أهلِ الدُّنيا ثمَّ احتسبه ، إلاَّ الجنَّةَ ) [5].

قوله تعالى : ما لعبدي المؤمن عندي جزاء : أي ثواب . ومعنى إذا قبضت صَفِيَّه : الصفي وهو الحبيب المصافي كالولد والأخ وكل من يحبه الإنسان . والمراد بالقبض : قبض روحه وهو الموت . والمراد باحتسبه : أي صبر على فقده راجياً الأجر من الله على ذلك[5] .

الكناية في قوله (قبضت) ، والقبض كناية عن الموت ، وهو موصوف. وفي هذا الحديث القدسي دليل على فضيلة الصبر على موت الشخص العزيز أو القريب ، وأن الله عز وجل يُجازي الإنسان إذا صبر على ذلك واحتسب الجزاء العظيم وهو الجنة .

ولا شك أن لفظ الموت لفظ تنفر منه النفوس وتقشعر، فعبر عنه في الحديثين السابقين بلفظ القبض تحسيناً وتجميلاً له.

3) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله: إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه)[5].

جاء في تحفة الأحوذي نقلاً عن الإمام الجزري " المراد بلقاء الله هنا المصير إلى الدار الآخرة وطلب ما عند الله وليس الغرض به الموت لأن كلا يكرهه فمن ترك الدنيا وأبغضها أحب لقاء الله ومن آثرها وركن إليها كره لقاء الله لأنه إنما يصل إليه بالموت).وجاء نقلاً عن النووي: (الكراهة المعتبرة هي التي تكون عند النزع في حالة لا تقبل توبته ولا غيرها فحينئذٍ يبشر كل إنسان بما هو صائر إليه وما أعد له، ويكشف له عن ذلك، فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله لينتقلوا إلى ما أعد الله لهم ، ويحب الله لقاءهم ليجزل لهم العطاء والكرامة وأهل الشقاوة يكرهونه لما علموا من سوء ما ينتقلون إليه ويكره الله لقاءهم أي يبعدهم عن رحمته وكرامته ولا يريد ذلك لهم)[5].

كنَّى بلقاء الله عن " مصير الإنسان في الدار الآخرة" ، كناية عن صفة ، وهي من نوع الرمز لانتفاء الوسائط ، وخفاء اللزوم ؛ لأن ظاهر المعنى يوحي بأن معنى لقاء الله هو الموت ، وهذا غير مراد ، كما ذُكر في شرح الحديث. ونسق الحديث قائم على الترتيب الجيد الذي أظهرته الشرطية وجوابهما ، مع وجود طباق جميل في قوله (أحب ، وكره) .

* وهناك كنايات كثيرة جاءت في سياق الأحاديث القدسية ، تبيّن فضل الله سبحانه وتعالى ومحبته لعباده المؤمنين وما يخبأه لهم من أجر وثواب جزاء امتثالهم لأوامره واجتناب معاصيه ليرتقي بهم لمقامات إيمانية رفيعة وبعضها جاء مشتملاً على الترغيب في فعل أشياء معينة مبيناً فضلها وعظيم أجرها، أو الترهيب من فعلها مبيناً جرمها واستحقاق الخسران والعقاب لمن فعلها . أمثلة لذلك:

1) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله تبارك وتعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر..)[5].

( قال الله أعددت) : من الإعداد ، أي هيأت . (ما لا عينٌ رأَتْ ) كلمة "ما" إما موصولة أو موصوفة، "وعين" وقعت في سياق النفي فأفاد الاستغراق ،و(لا خطَرَ على قلبِ بَشَر) أي : وقع[5].

تُعبّر الكناية في نَصّ الحديث عن موصوف ، ألا وهو "نعيم الجنة" ، فنعيم الجنة شيء عجيب ، يفوق كل الوصف ، فلا أحد يستطيع تصوُّره، ففيه من الروعة ما لا تراه العيون وتسمع به الآذان ، وما لا يخطر على قلب بشر، فهو نوع خاص من النعيم، وكل هذا النعيم الدائم المُقيم

الذي يفوق الخيال ، إنما خصَّ الله سبحانه وتعالى به عباده "الصالحين" ، جزاءً بما كانوا يعملون . وهذا إغراءٌ شديد، وشحذٌ للهمم بسلوك طريق التُقى والرشاد للوصول إلى هذه الغاية .

إذن الكناية في قوله "ما لا عينٌ رأتْ، أذُنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على قلبِ بَشرٍ"، كناية عن موصوف وهو (نعيم الجنة) . والصورة في هذه الكناية تتسع لكل ما لذَّ وطاب ، وكل نعيم يفوق تَصوُّر البشر .

2) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ الله ، إذا أحبَّ عبداً ، فقال لجبريل: إني أحبُّ فلاناً فأحبِّه . قال فيُحبُّه جبريل، ثمَّ ينادي في السَّماء فيقول : إنَّ الله يُحبُّ فلاناً فأحبُّوه . قال فيُحبُّه أهل السَّماء . قال ثمَّ يُوضع له القَبول في الأرض . وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول : إني أُبغض فلاناً فأبغضه . قال فيُبغضه جبريل، ثمَّ ينادي في أهل السَّماء: إنَّ الله يُبغض فلاناً فأبغضوه . قال فيُبغضونه . ثمَّ تُوضع له البغضاء في الأرض"[5].

في قوله ("يُوضع له القَبول في الأرض ) وقوله ("توضع له البغضاء في الأرض ) كنايتان: الأولى: كناية عن محبة الناس له ، وميل قلوبهم إليه ، فكل من يعاشره يحبه ، والثانية كناية عن كره الناس له فلا يجد قبولاً ولا محبة من أحد . والكنايتان عن صفة ، وهما قريبتان ، وبدون وسائط ، وواضحتان ، فبهما إيماء وإشارة . وفي نص الحديث مقابلة لطيفة بين " أحَبَّ وأبْغَض ، والسماء والأرض، القبول والبغضاء". وصورة القبول والبغضاء التي تُوضع في الأرض صورة عامة وواسعة شملت كل المخلوقات من أهل السماء ، وأهل الأرض. ومما زاد الكناية بلاغة وجمالاً في هذا الحديث التجسيد الذي حواه المعنى في قوله "يوضع له القبول، وتوضع له البغضاء" فصار القبول والبغضاء كالشيء المحسوس .

3) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنَّ الله يقول : يا ابن آدم : تفرَّغ لعبادتي أملأْ صدرك غِنًى وأسُدَّ فقرَك ، وإنْ لاَّ تفعلْ ملأتُ يديْكَ شُغْلاً ، ولم أسُدَّ فقرَك )[5].

قوله (إنَّ الله يقول : يا ابن آدم تفرَّغْ لعبادتي): أي تفرَّغ عن مهامتك لطاعتي ، (أملأْ صدرك ) أي قلبك ، (غِنًى) والغنى هو غنى القلب ، (وأسُدَّ فقرَك ) أي تفرغ عن مهامتك لعبادتي أقضي مهامتك وأغنيك عن خلقي ، (وإنْ لاَّ تفعلْ ملأتُ يديْكَ شُغْلاً ، ولم أسُدَّ فقرَك ) ، أي وإن لم تتفرغ لذلك واشتغلت بغيري لم أسد فقرك لأن الخلق فقراء على الإطلاق فتزيد فقراً على فقرك)[5].

(تَفَرَّغْ لعبادتي) : كناية عن طاعة الله وعدم الانشغال عن عبادته سبحانه وتعالى بأي أمر آخر.

(أملأْ صدرك غِنًى) : (الغنى ) كناية عن القناعة بالمقسوم من الرزق.

(وأسُدَّ فقرَك ) : كناية عن استغنائه عن الناس فلا يحتاج إلى أحد .

(ملأتُ يديْكَ شُغْلاً ):كناية عن اشتغاله من غير منفعة فيكون همه الدنيا لا يستطيع لحاقها.

الكنايات المذكورة في الحديث كناياتعن صفة ، وا ذا تمعنا في كل كناية منها نجد أنها تتسع لعدة وسائط ، لذلك بها تلويح. وفي ذكر الفقر والغني مطابقة جميلة ، وقوله: " أسد فقرك ، ولم أسد فقرك" أيضاً طباق سلب .

وهذا الحديث العظيم يضع للعبد علاجاً عظيماً للهموم المختلفة التي يتعرض لها في حياته الدنيا كشظف العيش ، وقلّة الرزق، وكثرة المشاكل وعدم الرضا بالمقسوم ، وغير ذلك، هذا العلاج هو الاشتغال بما خلق له ، وهو عبادة الله عز وجل والتقرّب إليه بالطاعات ، فإن العبد إذا شغله همُّ الآخرة أزاح الله عن قلبه همَّ الدنيا ، وخفف عنه أكدارها وأنكادها ، فيصفو قلبه ويتجرَّد من كل شاغل وصارف.

(4) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل: (إنه قال: يا ابن آدم ! اركع لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره ) [5].

شاهد الكناية في قوله تعالى:(آخره ) ، وهو كناية عن الحماية والحفظ من البلايا والمحن التي قد تحدث في آخر اليوم . فالكناية هنا عن صفة ، وهي بعيدة ؛ لأنه يمكن تقدير بعض الوسائط فيها نحو:(إن أداء هذه الصلاة يؤدي إلى التقرّب من الله عز وجل، وهذه القربى تؤدي إلى رضا الله ومحبته لعبده المتقرّب إليه، وهذه المحبة ينتج عنها الحفظ والعناية) . والكناية هنا واضحة اللزوم ، وهي من نوع التلويح . وفي قوله: " النهاره " مطابقة جميلة .

(5) قال أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إنّ الله قال إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه ، عوّضته منهما الجنّة . يريد : عينيه ) [5].

يقصد بقوله (حبيبتيه) عينيه؛ لأنهما أحب أعضاء الإنسان إليه ، لما يحصل له بفقدهما من الأسف على فوات رؤية ما يريد رؤيته من خير فيسر به ، أو شر فيجتنبه . فإذا صبر على هذا المصاب مستحضراً ما وعد الله به الصابر من الثواب ، عوضه الله منهما الجنة، وهذا أعظم العوض ، لأن الالتذاذ بالبصر يفنى بفناء الدنيا والالتذاذ بالجنة باق ببقائها، وهو شامل لكل من وقع له ذلك بالشرط المذكور [ وهو الصبر] [5].

الكناية في قوله عز وجل :(حبيبتيه) كناية عن العينين ؛ لأنهما أحب أعضاء الإنسان إليه وأكثرها فائدة. فالكناية هنا جاءت عن موصوف وهو (العينان)والحديث أيضاً يدعو إلى الصبر واحتساب الأجر.

(6) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل: (: كلُّ عمل ابن آدم له إلا الصيام ، فإنَّه لي وأنا أجزي به ، والصيام جُنَّة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابَّه أحدٌ أو

قاتَلَهُ فلْيقلْ : إنّي امْروٌالذي نفسُ محمدٍ بيدهِ لَخَلوفُ فمِ الصائمِ أطيبُ عندَ اللهِ من ريحِ المسكِ ...)[5].

وفيه كنايتان :

الأولى : في قولهوالذي نفسُ محمدٍ بيدهِ ) كناية عن قدرة الله تعالى وعظمته وإحاطته بكل الكائنات، وفيه دلالة على عظيم أجر الصائم[5] . والكناية هنا عن صفة ، وواضحة اللزوم وبدون وسائط ، وفي معناها إيماء وإشارة.

الثانية في قوله: (لَخُلوفُ فمِ الصائمِ أطيبُ عندَ اللهِ من ريحِ المسكِ )، كناية عن رضا الله تعالى عن الصائم، لأنه يعرف يوم القيامة بطيب رائحته كالمسك، بعد أن كانت في الدنيا متغيرة لخلو المعدة من الطعام من أثر الصيام، وفي رواية مسلم والنسائي: "أطيب عند الله يوم القيامة"[5]. وهي أيضاً كناية عن صفة ، وواضحة اللزوم وبدون وسائط ، وفيها إيماء وإشارة . وفي الحديث ترغيب في الصوم وحثٌّ عليه.

7) عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : "مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ )[5].

شاهد الكناية في قوله: (فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ) ، كناية عن غضب الله ومعاداته لمن عادي أولياءه الذين يحبهم ويصطفيهم ، لأنهم أصبحوا بدرجاتهم الإيمانية العالية وحبهم الكبير لله سبحانه وتعالى وطاعتهم له في حِماه ، يدفع عنهم ، ويغضب لغضبهم ، ويؤذن من عاداهم بالعداوة . فالكناية هنا عن صفة ، وهي واضحة اللزوم وبدون وسائط ، ففيها إيماء وإشارة. والكناية جاءت في سياق التحذير من معاداة أولياء الله .

8) قال أبو بكر بن أبي الرداد الليثي فعاده عبد الرحمن بن عوف، فقال خيرهم وأوصلهم ما علمتُ أبا محمد ، فقال عبد الرحمن : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :( قال اللهُ تباركَ وتعالَى: أنا اللهُ وأنا الرَّحمنُ ، خلَقتُ الرَّحمَ ، وشققتُ لها مِن اسمي، فمَن وصلَها وصلتُه، ومَن قطعَها بتَتُّه )[5].

قوله تعالى: (أنا الرحمن): أي المصُدَّف بهذه الصفة.(خلقت الرحم): قدَّرتها أو صوَّرتها مجسَّدة. (وشققت): أي أخرجت وأخذت اسماً (من اسمي): أي الرحمن، وفيه إيماء، إلا أن المناسبة الامية واجبة الرعاية في الجملة ، وإن كان المعنى على أنها أثر من آثار رحمة الرحمن ويتعيَّن على المؤمن التخلُّق بأخلاق الله تعالى والتعلّق باسمائه وصفاته ، ولذا قال من (فمن وصلها وصلته) أي إلى رحمتي أو محل كرامتي ، و(من قطعها بتته) أي قطعته من رحمتي الخاصة . من البت : وهو القطع[5].

والرَّحِمُ والرَّحْمُ : بيت مَنْبِت الولد ووعاؤه في البطن . والرَّحِمُ : القَرابة تَجمَعني وأَبي. وبينهما رَحِمٌ أَي: قرابة قريبة[5].

ووصل الرحم كناية عن صفة الإحسان إلى الأقربين ومواصلتهم بزيارتهم وتفقد أحوالهم ، وهي من الكنايات الواضحة المعنى وليس بها وسائط ، وفيها إيماء وإشارة.

وفي قوله : (ومن قطعها بتته) "القطع" كناية عن حرمان الإحسان . ، وهي أيضاً من الكنايات الواضحة المعنى وليس بها وسائط ، وفيها إيماء وإشارة. ، وفي قوله(وصلها وقطعها" ، و"وصلته بتوثه " ) ، مقابلة جميلة . وفي الكلام تأكيد لأمر صلة الرحم ، والنهي عن قطعها .

9) عن أبي واقد اللَّيثي عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: (إنَّ الله عزَّ وجلَّ قال: أذْزَلْنا الصَّلاة ، وإيتاء الزكاة ، ولَوْ كان لابن آدم وادٍ ، لأَحبَّ أنْ يَكُونَ إليه ثانٍ ، ولَوْ كان وادِيانِ لأَحبَّ أنْ يَكُونَ إليهما ثالثٌ ، ولا يَمْلأُ جَوْفَ ابنِ آدمَ إلاَّ التُّرابُ ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ على مَنْ تاب )[5].

(ولا يَمْلأُ جَوْفَ ابنِ آدمَ إلاَّ التُّرابُ )،أنه لا يزال حريصاً على الدنيا حتى يموت ، ويمتلئ جوفه من تراب قبره[5]. وقيل: وقع قوله : " ولا يملأ إلخ.. " موقع التذييل والتقرير للكلام السابق كأنه قيل ولا يشبع من خلق من التراب إلا بالتراب ،ويحتمل أن تكون الحكمة في ذكر التراب دون غيره أن المرء لا ينقضي طمعه حتى يموت فإذا مات كان من شأنه أن يدفن فإذا دفن صب عليه التراب فملأ جوفه وفاه وعينيه ولم يبق منه موضع يحتاج إلى تراب غيره[5].

في الحديث عدة كنايات منها :

(ولَوْ كان لابنِ آدمَ وادٍ ، لأَحبَّ أنْ يَكُونَ إليه ثانٍ ، ولَوْ كان له وادِيانِ لأَحبَّ أنْ يَكُونَ إليهما ثالثٌ ) فيه كناية عن طمع ابن آدم وشرهه ، وأنه لا يقنعه ولا يشبعه شيء .وكلها كنايات عن صفة ، كما أن فيها إشارة وإيماء لوضوح اللزوم فيها وعدم وجود وسائط .

(ولا يَمْلأُ جَوْفَ ابنِ آدمَ إلاَّ التُّرابُ ) كناية عن الموت . وهو النهاية الحتمية لكل ملذات الدنيا . فالكناية هنا عن موصوف . وجاءت الكناية بغرض المبالغة في تصوير طمع ابن آدم ، فلا يشبعه ويملأ عينه إلا التراب الذي سيدفن به.

وفي الحديث ذم الحرص على الدنيا وحب المكاثرة بها والرغبة فيها [5]، فينبغي على كل مسلم أن يقنع ويرضى بالقليل الذي قسمه الله له فيها ، فالدنيا نعيمها لا بد زائل ، والآخرة هي دار القرار .

10) عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من صلَّى صلاةً لم يقرأ فيها بأمِّ القرآنِ فهي خِدَاجٌ ثلاثًا ، غيرُ تمامٍ ...) [5].

"أم القرآن" اسم الفاتحة وسميت أم القرآن لأنها فاتحته[5]. كنى بأم القرآن عن سورة الفاتحة ، فالكناية هنا عن موصوف .ومسلك الكناية في الحديث يدل على نقصان الصلاة بدون قراءة الفاتحة.

* وهناك كنايات وردت في سياق أحاديث قدسية تحدثت عن أمور غيبية ستقع آخر الزمان، أو يوم القيامة ، أو عند الموت، منها ما يلي :

1) جاء في حديث فتنة المسيح الدجال قوله صلى الله عليه وسلم(يرسل الله مطراً لا يَكِنُّ منه بيت مَدَرٍ ولا وَبَرٌ . فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلَفَةِ )[5].

يُصوِّر الحديث غزارة المطر المدرار الذي ينظف الأرض من زهم ونتن يأجوج ومأجوج بأنه لا يقي منه بيت وبر ولا مدر . وهي كناية عظيمة الدلالة عن شدّة الغزارة والانهمار[5]. فالمطر يدمر ويمسح كل البيوت التي يسقط عليها سواء أكانت من الطين أو الشعر . والكناية هنا عن صفة ، وهي خفية اللزوم وبدون وسائط ، ففيها رمز ، ونستشعر موسيقى الكلمات في "مطرا ، ووبر ، ومدر " ومابهما من تناغم جميل أضفى إيقاعاً جميلاً على ألفاظ الحديث.

2) عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يَرِدُ عليَّ الحوضَ رجالٌ من أصحابي ، فيُحَلَّؤُون عنه ، فأقولُ : يا ربِّ أصحابي ؟ فيقول : إنك لا علمَ لك بما أحدثوا بعدَك ، إنهم ارتدُّوا على أدبارِهم القهقَرَى)[5].

قولهإنهم(ارتدُّوا على أدبارِهم القهقَرَى) أي رجعوا إلى خلف، ومعنى قولهم: (رجع القهقرى) رجع الرجوع المسمى بهذا الاسم ، وهو رجوع مخصوص وقيل معناه العدو الشديد[5].

في قولهإنهم(ارتدُّوا على أدبارِهم القهقَرَى) كناية عن الكفر والرجوع عن دين الإسلام بعد إيمانهم به . فعبَّر عنه بالرجوع إلى الخلف بتلك الهيئة المخصوصة التي تسمى القهقرى . وترتبط دلالة الرجوع للخلف أو القهقرى أو ما في معناهما غالباً بالتخلُّف أو الخذلان أو الانسحاب ، وهذا يكون بعد فعل الشيء ، أو التقدم في أمر معين ، ثم تركه والرجوع عنه ، فَصُوِّر "معنى" الرجوع عن الدين بصورة الراجع الى الخلف رجوع القهقرى ، وهذا من جمال الكناية إذ أنها تُمثِّل المعنى للخيال بإدراك حسي .

فالكناية هنا عن صفة ، وهي خفية اللزوم وبدون وسائط ، ففيها رمز.

2) وفي حديث خروج الروح وردت الكنايات الآتية :

ثمَّ يجيء ُ ملَك ُ الموت ِ حتَّى يجلِس َ عند رأس ِه فيقول ُ أيَّتها النَّفس ُ الخبيثة ُ اخر ُجي إلى سخط ٍ من الله ِ قال فتُفرَّق ُ في جسدِه فينتزِع ُها كما يُنتزَع ُ السَّفُّود ُ من الصُّوف ِ المبلول ِ فيأخذُها فإذا أخذها لم يدَعوها في يدِه طرفةَ عين ٍ حتَّى يجعلوها في تلك المُسوح ِ ... إلى قوله ويُضيَّق ُ عليه قبر ُه حتَّى تختلِف َ أضلاع ُه )[5].

أ- (فيأخذُها فإذا أخذها لم يدَعوها في يدِه طرفةَ عين ٍ). الكناية في قوله (طرفة عين) ، وهي كناية عن سرعة أخذ الروح من ملك الموت ، فبعد أن يأخذ ملك الموت الروح الخبيثة وينتزعها بالهيئة الموصوفة في الحديث يأخذها من يده الملائكة الموكلين بأخذها منه، ليضعوها في المسموح الذي معهم. وعملية التسليم هذه تتم بسرعة شديدة (كطرف العين) .

فالكناية هنا عن صفة ، وهي واضحة اللزوم وبدون وسائط ، وفيها إيماء وا إشارة .

ب- الكناية في قوله صلى الله عليه وسلم (حتَّى تختلِف َ أضلاع ُه). واختلاف الأضلاع كناية عن شدة ضغطة القبر، حتى أن أضلاعه تدخل في بعضها البعض ، ولا شك أن صورة هذه الضغطة غاية في البشاعة إذا ما تخيلها العقل -والعياذ بالله- . والكناية هنا عن صفة قريبة وخفية اللزوم ، وليس لها وسائط ، فهي من نوع الرمز.

* وهناك أحاديث قدسية جاءت الكناية فيها في سياق التذكير والتنويه بفضل الله سبحانه وتعالى على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ، وما وهبه لهم من حظوة وشرف ومكانة عالية تميزوا بها عن الأمم الأخرى.

1) عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنَّ الله َ زوى لي الأرض َ فرأيت ُ مشارقَها ومغاربَها. وإنَّ أُمتي سيبلغ ُ ملكُها ما زُوي لي منها .وأعطيت ُ الكنزين الأحمر َ والأبيض َ . سألت ُ ربِّي لأُمتي أن لا يُهلكَها بسنة ٍ عامة ٍ . وأن لا يُسلطَ عليهم ْ عدو ًا من ْ سِوى أنفسِهم ْ . فيستبيحَ بيضتَهم ْ . وإنَّ ربِّي قال : يا محمد ُ ! إنِّي إذا قضيت ُ قضاء ً فإنه ُ لا يردُّ . وإنِّي أعطيتُك َ لأُمتِك َ أن لا أُهلكَهم ْ بسنة ٍ عامة ٍ . وأن لا أُسلطَ عليهم ْ عدو ًا من ْ سِوى أنفسِهم ْ . يستبيح ُ بيضتَهم ْ . ولو اجتمع َ عليهم ْ من ْ بأقطارِها قال من ْ بين أقطارِها - أو قال من ْ بين أقطارِ الأرض - حتَّى يكون بعض ُهم ْ يُهلك ُ بعض ًا ، ويَسبي بعض ُهم ْ بعض ًا)[5].

في هذا الحديث القدسي كنايات لطيفة:

شاهد الكناية فيه في قوله: (الكنزين الأحمر والأبيض) :الأحمر هو الذهب، والأبيض هو الفضة ، وقيل: إن كنوز كسرى هي الفضة والجوهر والأشياء البيض، وكنوز قيصر هي الذهب.

فيكون في قوله (الكنزين الأحمر والأبيض) كنايتان، الأولى : كناية عن الذهب والفضة . وهنا تكون الكناية عن موصوف .

والثانية : كناية عن خضوع ملكي كسرى وقيصر لسلطان المسلمين ، فعبارة "وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض" تومىء بامتلاك المسلمين للامبراطوريتين -بلاد فارس والروم- بكل ما تحويانه من خيرات وثروات ، وهذا الأمر أخبر به النبي -عليه الصلاة والسلام- في هذا الحديث قبل أن يقع،وقد وقع طبقاً لما أخبر به .

والكناية هنا عن صفة، وهي خفية اللزوم، ويمكن تقدير وسائط عديدة لهذه الكناية ، إذ أن المسلمين لم يستولوا على هاتين الامبراطوريتين بسهولة ويسر ، وإنما كان ذلك بعد خوض معارك ضارية وأحداث كثيرة تمخض عنها في النهاية سقوط هاتين الدولتين ومن ثم الاستيلاء على ثرواتهما ، فتكون الكناية إذن بعيدة ، لكثرة وسائطها ، وفيها تلويح بالمعنى .

كما يوجد كناية أيضاً في قوله :(يستبيح بيضتهم) وهي كناية عن تقتيلهم وتفريق جماعتهم وإشعال نار الفتنة بينهم . فهنا الكناية عن صفة ، وهي خفية ، وبدون وسائط ، فهي من نوع الرمز.

وفي قوله (لا أهلكهم بسنة) كناية عن الجدب والقحط ، لأن العرب كانت تستعمل السنة لتدل على القحط والجدب. وقد ذكر الله تعالى:(فَأَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ )[5].

دُوبٌ . وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ ، يُقَالُ : أَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ ، أَيْ جَدْبٌ . وتقديره جدب سنة[5].

فالكناية هنا أيضاً عن صفة ، وهي من نوع الإيماء والإشارة . لوضوح اللزوم وانتفاء الوسائط .

2) قال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة خطبها ذات يوم للوليد بن عقبة: (ثُمَّ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْمَغْرِبِ فَعَجَمَ عَلَيْهِمْ فَقَتَلَهُمْ، وَقَالَ : إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأُبْتَلِيَكَ بِكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ فَلَيْسَ كِتَابًا لَا يُغْسَلُ الْمَاءُ ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ )[5].

وَأَنْ شَبَّهَتِ الْكِنَايَةَ فِي قَوْلِهِ: (كِتَابًا لَا يُغْسَلُ الْمَاءُ ) ، كناية عن حفظه في القلوب لا يُنسى ولا يُنسخ ، ولا يعتريه التحريف والتبديل ما دامت السموات والأرض . فالكناية هنا عن صفة ، وهي خفية اللزوم وبدون وسائط ، ففيها رمز.

ومن روائع هذا النص أنه اشتمل على لونين بلاغيين: الاستعارة، في التعبير بغسل الأوراق عن إبطال حكمه وترك قراءته ونسيانه ، والكناية عن حفظه في القلوب ، فتضامنا معاً على إخراج

المعنى في أبهى حلله ، وأروع صوره ، وأتم بيانه . وفي قوله "ذواتها وما يوافقها" تقابل عجيب .

(3) جاء في الحديث عن ابن عباس ، قال لما نزلت هذه الآية ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ [البقرة : آية 284]، قال : فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : فأنزل الله ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ [البقرة : آية 286]، قال : قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "قولوا: سمعنا وأطعنا وسلمنا" : فألقى الله الإيمان في قلوبهم"[5].

في قوله (فألقى الله الإيمان في قلوبهم) ، كناية عن دخول الإيمان وتمكنه واستقراره في قلوب الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، وهو كناية عن صفة ، وواضحة اللزوم ، وبدون وسائط ، وفيها إيماء وإشارة وبها تجسيد جميل لمعنى الإيمان بأن جعله شيئاً محسوساً .

*وهناك أحاديث قدسية اشتملت على نوع رائع من أنواع الكناية ، وهو الكناية بالحركة والإشارة ، وقد ذُكِر في غير هذا الموضع من البحث أن للإشارة دلالات شأنها في ذلك شأن الكلام الصريح ، وقد أسهب الجاحظ في ذكر مزاياها . كما تمت الإشارة أيضاً إلى أن الحركة والإشارة كانت من أميز طرق الأداء التي اتخذها النبي صلى الله عليه وسلم في التعليم وإيصال المعنى . ومن الكنايات التي جاءت بطريق الإشارة والحركة في الأحاديث القدسية ما يلي :

1) في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال إن الكافر إذا خرجت روحه -قال حماد وذكر من نتنها ، وذكر لعنا- يقول أهل السماء خبيثة جاءت من قبل الأرض . قال فيقال لقوا به إلى آخر الأجل . قال أبو هريرة : فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ريطة ، كانت عليه ، على أنفه ، هكذا)[5].

شاهد الكناية في قوله (فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ريطة ، كانت عليه ، على أنفه ، هكذا).

الرّيْطة : بفتح الراء وسكون الياء، ثوب رقيق ، وسبب ردها على الأنف ما ذكر من نتن ريحها [اي الروح الخبيثة] "[5].

كنّى النبي صلى الله عليه وسلم عن الرائحة النتنة" برد الريطة على أنفه" . ليدل بتلك الحركة على نتنها حتى كأن نفسه تستشعر رائحتها ، ويمكن أن يقال في هذه الكناية أنها كناية عن موصوف وهو "الرائحة النتنة" . وكانت بطريق الحركة "رد الريطة على الأنف" .

(2) جاء في الحديث عن بسر بن جحاش القرشي قال : (بصق النبي صلى الله عليه وسلم في كفه ، ثم وضع أصبعه عن بسر بن جحاش القرشي قال : (بصق النبي صلى الله عليه وسلم في كفه ، ثم وضع أصبعه وقال أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه ، فإذا بلغت نفسك هاهنا - وأشار عبد الرحمن إلى حلقه - أتصدق وأنى أوان الصدقة ؟)[5].

وفيه كنايتان بالإشارة :

الأولى في قوله صلى الله عليه وسلم: (أَنَّى يُعجِزُني ابن آدم وقد خلقتُكَ من مثل هذه ). مثّل النبي صلى الله عليه وسلم لشكل النطفة التي خُلِق منها الإنسان بالبزقة الصغيرة التي أخرجها عليه الصلاة والسلام من فمه الطاهر ، ووضعها في كفّه ، لبيان وتقريب الصورة في الذهن . أي أن ابن آدم كان شيئاً صغيراً من نطفة تشبه هذه . فالكناية هنا عن الشيء الصغير الحقير . أي كناية عن صفة ، وهي واضحة اللزوم وليس لها وسائط ، ففيها إيماء وإشارة .

الثانية : في قوله صلى الله عليه وسلم( فإذا بلغت نفسُكَ هذهِ وأشارَ إلى حلقِهِ)، أشار صلى الله عليه وسلم إلى حلقه ليبيّن موضع خروج الروح ، وفيه كناية عن الموت ، وانقضاء الأجل، حيث لا تنفع توبة تائب ، ولا يُقبل عمل عامل في هذه اللحظة الحرجة . فالكناية هنا عن موصوف وهو الموت .

وجملة الحديث اشتمل على تعريض واضح بمانعي الصدقات ، وهو يلامس كل مسلم يكنز ماله ولا ينفق منه في سبيل الله ، بأنه سيأتي يوم لا تُقبل فيه صدقته ، لأنه حينها يكون قد فات الأون عليها، وأشار إلى ذلك بقوله : (وأنى أوان الصدقة؟).

فيجب على المسلم أن يتصدَّق وأن يغتنم فرصة وجود صحته وعافيته ، لأن المرض والموت قد يأتيا في أي لحظة فلا يكون هناك وقت للتصدُّق . ومصداق هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم عندما سأله الرجل أيّ الصدقة أفضل أجرا( أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان )[5].

أخيراً ، وبعد هذه السياحة الممتعة في رحاب الكناية في الأحاديث القدسية ، نجد أنها جاءت مشتملة على كل ما يخص الفرد المسلم من أمور يُستلزم الترغيب فيها ، أو الترهيب منها ، فهي تهدف إلى تقويم السلوك الإنساني بصفة عامة ، وقد وردت بألفاظ جزلة وقوية وبليغة، ومختصرة وجامعة ، أعطت المعنى ظلالاً لطيفة أظهرته في صورة حسية ملموسة .

## الخاتمـــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. أما بعد: فقد انتهيت بعون الله وتوفيقه من إكمال هذه الدراسة. ورأيت أن أورد في خاتمتها أبرز النتائج التي توصلت إليها، وهي كما يلي:

1- التشبيه في الأحاديث القدسية من أروع الأساليب البيانية وأمتعها للنفس، وأكثرها استيعاباً للصور الفنية الجميلة ، وتتسع الصورة فيه لتشمل ايقاع البيئة والمجتمع والحياة . فضلاً عن أنه فن من فنون التعليم ونقل المعاني للآخرين.

2- أكثر التشبيهات جاءت من نوع تشبيه المحسوس بالمحسوس ، وتصدَّر التشبيه المرسل المُجْمل قائمة تشبيهات الأحاديث القدسية . مع استيعابه لأدوات التشبيه (كأن ، و الكاف ، ومثل ) وقلما ذكرت أدة التشبيه من نوع الفعل إلا فيما عدا مثال واحد فقط جاءت فيه أداة التشبيه الفعلية (أشبهه) ولم أعثر على تشبيه من النوع المُفَصَّل الذي يذكر فيه وجه الشبه .

3- أكثر تشبيهات الأحاديث القدسية من نوع التشبيه المفرد ثم يليها تشبيه التمثيل ، ثم البليغ والضمني ، أما التشبيه المقلوب (العكسي) فلم أعثر عليه .

4- اتخذ التشبيه في الأحاديث القدسية الطبيعة ميداناً يقتبس منها صور تشبيهاته من نباتها وحيواناتها وجمادها ، كتشبيه الناجين من النار برحمة الله سبحانه وتعالى بنبات الحبة ، وتشبيه شرار الناس في زمن المسيح الدجال بالحمير في تهارجهم وعدم تمييزهم وحيائهم ، والكنوز التي تتبع المسيح الدجال بيعاسيب النحل ، وذنوب الناس بالجبال ، وغيرها.

5- طرقت التشبيهات في الأحاديث القدسية موضوعات مختلفة ، أكثرها جاء وصفاً وتبياناً لأمور غيبية لم نرها، من باب العلم بها ، تشويقاً إليها (كرؤية الله عز وجل ، وحوض الكوثر، وسدرة المنتهى ، الخ ..)أو زجراً وتخويفاً منها (ككيفية طلوع الروح الخبيثة) .. وأخرى جاءت للترغيب في عبادة معينة ، أو الترهيب من أمر معين . وهناك تشبيهات وردت في سياق القصة من أجل أخذ جانب العبرة منها ، وأخرى جاءت تبيَّن فضل الله على عباده المؤمنين وهكذا ترى التشبيه يحتوي كل الأغراض، ويعمل على تمثيل الغائب حتى يصبح حاضراً وتقريب البعيد النائي حتى يصبح قريباً دانياً .

6- ألفاظ المجاز المرسل في الأحاديث القدسية اُختيرت بعناية فائقة لتنصب في قالب المعنى المراد، ومن بين هذه الألفاظ تبرز الصورة الفنية التي تساند المعنى وتقويه وتزيده إيضاحاً . هذا فضلاً عن الايجاز وجوامع الكلم التي تعتبر سمة عامة تشكَّلت منها معظم علاقات المجاز المرسل.

7- تتنوع علاقات المجاز المرسل في الأحاديث القدسية ، وبينما تكثر فيها علاقة السببية والجزئية ، واعتبار ما يكون، إلخ ..، تقل علاقة الكلية والآلية ، ولم أقع على مثال علاقته الحالية .(هذا في إطار العلاقات المستشهد بها في الدراسة فقط لا في كل العلاقات).

8قامت بعض علاقات المجاز المرسل على أسلوب الحوار الشيِّق الذي يحيى الذهن ويساعد على تثبيت المعلومة في الذهن .

9- التجسيم وكذلك التشخيص من أميز صفات الاستعارة في الأحاديث القدسية ، وفيه من الابتكار ودِقَة الخيال وتقريب المعانى ما لايخفى على أحد ، فضلاً عن ما يحدثه من أثر في النفس وتحريك للمشاعر ، خاصة عند وصف الأمور الغيبية التي يَصعُب تصوُّرها بالعقل .

10يلاحظ في كل استعارات الأحاديث القدسية الدِقة في اختيار اللفظ المستعار، إذ أن جمال الاستعارة يكمن ورائه ، كما في استعارة (ماج) لتدافع الناس واستعارة (النزع) لخروج الروح ، و(ثار) عن وطائه، للهمة والنشاط لأداء صلاة الليل وترك النوم، وغير ذلك كثير .

11- الاستعارة التمثيلية قليلة إذا ما قورنت بغيرها من أنواع الاستعارات .

12- يلاحظ الأثر القرآني في بعض استعارات الحديث القدسي ، كما في استعارة (يموج) في تشبيه تدافع الناس يوم القيامة وتداخلهم بعضهم في بعض لكثرتهم ، وفي استعارة (إلقاء الإيمان) في قلوب المؤمنين ، واستعارة (الغرس) لكرامة المؤمنين .

13-تتسع الصورة الفنية للاستعارة في الأحاديث القدسية ، فهي تخفي وراء الكلمة المستعارة صوراً خيالية تأثر القلوب وتجبرها على التصديق بمعطياتها، فهي مقنعة إذا ما تشخَّصت وخلقت على المعاني المعقولة صفاتٍ إنسانية محسوسة تزخر بالمشاعر والحركة والحياة ، وهي معبرة إذا ما استلهمت من الواقع صورته وإيقاعه اليومي، ومن البيئة نباتها وحيوانها وجمادها ، وهي دقيقة إذا ما وصفت الموقف وراعت المقام.

14- اشتملت الكناية في الأحاديث القدسية على موضوعات متنوعة اختصت بكل ما يخص الفرد المسلم من أمور يُستلزم الترغيب فيها ، أو الترهيب منها ، فهي تهدف إلى تقويم السلوك الإنساني بصفة عامة ، وقد وردت بألفاظ جزلة وقوية وبليغة، ومختصرة وجامعة .

15- تكثر في الأحاديث القدسية الكنايات الدالة على الأوزان والمقادير والمسافات وغير ذلك، خاصة فيما يتعلّق بمقدار أو نسبة الإيمان عند المسلم ، وكان التعبير عن ذلك بأشياء حسية ومادية معروفة لدى الناس ، ومشاهدة في حياتهم اليومية ، والغرض منها تقريب المعنى وتوضيحه .

16- هذا وتحتل الكناية عن الصفة في الأحاديث القدسية الصدارة من بين أقسام الكناية الأخرى. وفي المقابل يندر وجود الكناية عن النسبة أو يكاد ينعدم .

17- تكثر الكنايات القريبة ذات الوسائط القليلة (من نوع الإيماء والإشارة) ولعل ذلك يرجع إلى توخي النبي صلى الله عليه وسلم السهولة في أسلوبه .

**التوصيات :**

1- إفراد الأحاديث القدسية بمزيد من الدراسة والنظر لإبراز ما اشتملت عليه من محاسن البيان النبوي .

2- الأحاديث القدسية مليئة بالصور البلاغية التي تحتاج إلى التنقيب عنها .